

## أول من صلى إلى الكعبة - ٢

لما شعر البراء بن معرور بالخرج مما فعله ، ومن مخالفته للوفد المرافق له بالصلاة نحو الكعبة ، وهم يصلون نحو الشام ، طلب من كعب بن مالك رضى الله عنه أن يذهبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

فخرجنا نسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قلنا : نعم .

قال : وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً .

قال : فإذا دخلتم المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ، قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس - رضى الله عنه - جالس ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعباس : " هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ " .

قال : نعم . هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " الشاعري ؟ " .

قال : نعم ، فقال البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت من سفري هذا وقد هدانى الله للإسلام - فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بطهر فصليت إليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك .

حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء . فماذا ترى يا رسول الله ؟

قال : " قد كنت على قبلة ، لو صيرت عليها " .

فرجع البراء إلى قبلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصلى معنا إلى الشام .

.....

كان إحساس البراء بن معرور بشىء فى نفسه ، وراء ذهابه مع كعب بن مالك إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بوصفه المرجعية التى يتبغى الاحتكام

إليها ، ومعرفة الصواب من الخطأ فى حضورها ، فراح مع كعب يسألان - صلى الله عليه وسلم - وتلاحظ هنا أن بعض القوم فى يثرب قد سمعوا عنه ولم يروه ، وأسلموا بناء على ما وصل إليهم من أصول الدين ومفاهيمه ، فهما مثلاً يسألان رجلاً من أهل مكة كعادة الغرباء حين ينزلون قرية أو مدينة يريدون بعض أهلها فيسألون من يقابلهم فى الطريق ، ويتصوّر الرجل أن معرفتهما به ستسهل مهمتهما فى الوصول إليه ، فيسألهما : أتعرفانه ؟ ولكنهما لا يعرفانه وإن كانا يعرفان عمه العباس بن عبد المطلب بحكم أنه كان تاجراً يتردد عليهم فى المدينة وهذه المعرفة سهلت عليهم الوصول إلى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يجلس بجوار عمه كما أخبرهم الرجل الذى سألاه عنه .

و نكتشف من حوادث القصة أن المسجد ، والمقصود به هنا الكعبة أو البيت الحرام ، له دور كبير فى حياة الإسلام والمسلمين ، فهو مقر الرسول - صلى الله عليه وسلم وهو بالتالى مصدر الإسلام بعقيدته وتشريعاه ، وإليه يأتى الناس من كل مكان ، ليقابلوا نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - ويتعرفوا على الدعوة والداعية .

وسنجد أن المسجد - بعد الهجرة - يتطور دوره ليكون شبيها بمقر الحكم للدولة الإسلامية الجديدة ، ومجلساً للشورى ، ومكاناً لأهل الحل والعقد ، ومركزاً لاستقبال السفراء والوفود ، ومنطلقاً لقرار الحرب وتوقيع اتفاقيات السلم والهدنة.. و هاهو البراء ومعه كعب يصلان إلى المسجد ، ويجلسان إلى العباس ويجواره النبي - صلى الله عليه وسلم - الذى يسأل عمه عنهما : " هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ "

نلاحظ فى سؤاله - صلى الله عليه وسلم - لعمه العباس نموذجاً للأدب الرفيع فى المخاطبة والسؤال - فهو لا يسأله مستخدماً اسمه المجرد ، بل يستخدم الكنية " يا أبا الفضل " ، وما زال استخدام الكنية حتى اليوم فى البلاد العربية - أو كثير منها تعبيراً عن الاحترام والتوقير والقرب النفسى من المخاطب .

لقد أجاب العباس ، و عرّف بالرجلين تعريفاً يتجاوز الشخصيين إلى مكانتهما . فهذا البراء سيد قومه ، و كعب بن مالك . و يعقب الرسول - صلى الله عليه وسلم على إجابة عمه العباس حين ذكر كعباً بقوله : " الشاعر ؟ " وهذا التعقيب أو تلك الصفة التي سأل عنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم ينسها كعب بن مالك .

وقد أقسم على ذلك . و صفة الشاعر بالنسبة للشعراء أعلى من كل الصفات الدنيوية الأخرى ، و سنجد فيما بعد أن كعباً الشاعر سيكون له دور عظيم في المناقحة عن الإسلام و المسلمين بشعره ، و سيكون مدفعية ثقيلة تدك معازل الكفر بأبيات الشعرا المؤثرة مع عبد الله بن رواحة و حسان بن ثابت رضى الله عن الجميع .

بعد التعارف يعرض البراء بن معرور موضوعه أو مشكلته ، و يقول : فرأيت ألا أجعل هذه البنية - أي الكعبة - منى بظهر فصليت إليها ، و قد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟  
الرجل يعترف بما حدث اعترافاً دقيقاً ، و يطلب الرأي من الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنه هو المرجعية التي يحتكم إليها المختلفون . ولأن المسألة مرتبطة بالوحي الذي لم يغيرها ، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول له :  
" قد كنت على قبلة لو صيرت عليها .." أي إنه بطريقة ذكية وبارعة ينبهه إلى خطئه و صواب رفاقه ، و يخبره أن الصلاة إلى الشام هي التشريع الصواب الذي كان ينبغي أن يتبعه . فيعدل البراء عن رأيه حتى تتغير القبلة إلى مكة فيما بعد الهجرة بأمر إلهي يستجيب لعواطف النبي - صلى الله عليه وسلم - و مشاعر المسلمين .

"...فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَةً تَرَضَّيْنَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...." (البقرة ١٤٤)

\*\*\*\*

## الإسلام عند الموت - ١

بعث حنذب بن عبد الله الحلبي - رضى الله عنه - إلى عسوس بن سلامة، زمن فتنه ابن الزبير، فقال: اجمع لى نفرأ من إخوانك حتى أحدثهم، فبعث رسولأ إليهم.

فلما اجتمعوا جاء جنذب و عليه بُرنسُ أصفر، فقال: نحدثوا بما كنتم تحدثون حتى دار الحديث فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه فقال: إنى أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا - فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد إلى غفلته.

قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف، قال: لا إله إلا الله فقتله فجاء البشير إلى النبي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله، فقال: "لم قتلته؟". قال: يا رسول الله، أوجع فى المسلمين، و قتل فلاناً و فلاناً، و سمى له نفرأ، و إنى حملتُ عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أقتلته؟". قال: نعم. قال: " فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!....."

حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره .

.....

تعالج هذه القصة أمراً حساساً فى حياة المسلمين . وهو حرمة الدم الإسلامى و عدم استحلاله تحت أى ظرف من الظروف . فالمسلم له ذات إنسانية مصونة ينبغى ألا يقترب منه أحد بالإهدار إلا بحق ، وليس أى أحد يجوز له أن يقتل مسلماً أو يسفك دمه تحت أى دعوى من الدعاوى ، مالم يكن ذلك بحكم قاض يقضى بالقصاص منه لقتل إنسان آخر ، أو كفر بواجب فيه محاربة لله ورسوله أو فساد فى الأرض .

و تأكيد حرمة الدم الإسلامى مسألة ممتدة فى كل الأحوال والظروف والعصور وخاصة فى زمن الفتن التى يقتتل فيها المسلمون ، ويسفك بعضهم دم بعض . فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، ومطلوب خاصة فى هذه الأيام إعادة التذكير بهذا الحكم الإسلامى الذى يستهين به بعض الناس ، تحت دعاوى مختلفة فيستبيحون الدماء ويستحلون النفوس ويفترون على الله والإسلام مالم ينزل به وحى أو يتحدث به تشريع .

إن جندب بن عبد الله البجلي - رضى الله عنه - يطلب من عسعس بن سلامة فى زمن فتنة ابن الزبير ، أن يجمع نفراً ، أى مجموعة من إخوانه ؛ حتى يحدثهم . وكان جندب قد استشعر فداحة الفتنة القائمة بين المسلمين على عهد عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - فيقتل المسلم أخاه المسلم ، وتقطع الأرحام ، وتسيل الدماء وكل فريق من المتقاتلين يدعى أنه على الحق والصواب ، ونسى الجميع أن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، وأن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقد عصم دمه .

لقد جاء جندب بن عبد الله البجلي ، وهو يرتدى بُرْنَساً ، والبرنس هو كل ثوب رأسه ملتصق به دراعة أو جبّة أو نحوهما ، فحسر البرنس عن رأسه ، وقال لمن جمعهم عسعس بن سلامة إنى أتيتكم لا أريد أن أخبركم عن نبيكم - صلى الله عليه

وسلم - بل أردت أن أحدثكم حديثاً مفتوحاً من القلب . ولكنى الآن أريد أن أحدثكم من عند نفسي ، ثم أخبركم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعث بعثاً من المسلمين ، أى فريقاً إلى قوم من المشركين لمقاتلتهم ، وكان فى المشركين رجل فائق القدرة ، ويستطيع أن يقتل كل من يقف أو يقح أمامه من المسلمين ، فحاول بعض المسلمين مغافلته لقتله والتخلص منه ، حتى تمكن منه أسامة بن زيد فرفع عليه السيف وحينئذ فإن الرجل المشرك نطق بالشهادة قائلاً : لا إله إلا الله ، ولم يعبا أسامة بهذا النطق ، وهوى عليه بالسيف وقتله !!

رجع المسلمون ، وأخبروا النبى - صلى الله عليه وسلم - بأمر بعثتهم وانتصارهم على المشركين ، وقصوا عليه ، ما كان من أمر أسامة والمشرك الذى أسلم قبل الموت ، وهنا سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن زيد :  
" لم قتلته ؟ " والسؤال كما نرى فيه امتنكار واستهجان لقتل من قال : لا إله إلا الله ، حتى لو قالها بمجرد اللسان ، ويدافع أسامة عن نفسه قائلاً :  
- يا رسول الله ، أوجع فى المسلمين ، وقتل فلاناً وفلاناً ، وسمى له نقرأ  
وإنى حملت عليه ، فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله .

وهنا يأتى الرد فى استنكار واضح من الرسول -- صلى الله عليه وسلم .

" أقتلته ؟ " فيقول أسامة : نعم .

فبيّنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلاً :

" فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ "

وكان لا إله إلا الله . ستسائل كل من يقتل مسلماً بغير حق ، وستكون

خصماً له يوم القيامة تطالب بدمها المهدر وحياتها الضائعة ...

إن هذا السؤال يأخذ بُعداً آخر .

\*\*\*\*

## الإسلام عند الموت - ٢

يستنكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل من ينطق بالشهادة .  
و يقول لأسامة بن زيد : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم  
القيامة؟! " وهنا يرد أسامة معتذراً :  
" يا رسول الله ، أستغفر الله .  
قال : " وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟"  
قال : ففعل لا يزيد على أن يقول : كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت  
يوم القيامة؟"

و يحكى أسامة بن زيد - رضى الله عنه - القصة فيقول :  
بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحرقة من جهينة ، فصبحنا  
القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال :  
فلما غشينا قال : لا إله إلا الله ، فكف عنه الأنصاري ، و طعنته  
برمحي حتى قتلته .

قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لي :  
" يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله؟! "  
قال : قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً .  
فقال : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! "  
قال : فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .  
وفي رواية : " أفلا شققت عن قلبه حتى نعلم أقالها أم لا؟! "

.....

تشير القصة النبوية إلى استنكار الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
لقتل من يقول لا إله إلا الله ، ويدرك أسامة غضب الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
من فعلته فيعتذر ويقول : " يا رسول الله ، أستغفر الله "

فيكرّر الرسول - صلى الله عليه وسلم - استنكاره لقتل من يقول لا إله إلا الله قائلاً: " و كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟! " ويتكرر هذا التساؤل الاستنكارى الراض لقتل النفس البشرية بغير حق .

و هو ما يؤكد أسامة بن زيد فى سرده للقصة بنفسه ، حيث يصف بالتفصيل أحداث القصة كما يذكر أو يحدد مكانها الدقيق وهو الحُرقة من جهينة . لقد هزم المسلمون القوم ، و لحق أسامة مع رجل من الأنصار رجلاً من القوم المهزومين ، فلما لحقاه أو غشياه ، نطق بالشهادة فكف عنه الأنصارى أى توقف عن ملاحقته و قتله . أما أسامة فلم يتوقف ، ولاحقه و طعنه برمحه حتى قتله .

إن أسامة يسرد أحداث قتل الرجل كما جرت ، وقد عرف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاطب أسامة وفقاً لرواية أسامة قائلاً:

" يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله؟! "

فرد عليه أسامة : " يا رسول الله إنما كان متعوداً " ، أى قال لا إله إلا الله لكى لا أقتله . أو ليحفظ دمه .

ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى أغضبه قتل إنسان يعلن الشهادة ولو بلسانه يكرر السؤال مستنكراً ما فعله أسامة .

" أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ !! "

وما زال يكرر سؤاله الإنكارى حتى تمنى أسامة أن لم يكن قد أسلم قبل ذلك اليوم لإحساسه بقطاعه فعلته ، التى فعلها بحسن نية ظناً منه بأن الرجل نطق بالشهادة تقيّه و خوفاً من الموت .

إن الرواية الأخرى للحديث التى تقول على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطباً أسامة " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ " تؤكد على أن المسلم يجب ألا يأخذ الناس بغير الظاهر ، أما الله فيتولى السرائر . يجب ألا نحاكم أحداً على نواياه المخبوءة بل نحاسبه على كلامه و أفعاله التى تصدر عنه علناً و بإرادته الحرّة أيضاً .

نحن لسنا مأمورين بالتفتيش في أعماق القلوب والنفوس ، ولكننا نحكم على الأقوال والأفعال التي نسمعها ونشاهدها ..

وإلا لو حكمنا بالنيات المخبوءة فإن الناس يقتل بعضهم بعضا هذا يرانى كافرا وأنا أراه كافرا ، فأبيح له أو أبيح لنفسى أن أقتله ويقتلنى ، ويتحول نظام المجتمع إلى فوضى ودم وخراب والعياذ بالله .

لقد حذر القرآن الكريم من القتل ، وصور لنا من يقتل نفساً بغير حق أو فساد في الأرض كأنما قتل الناس جميعاً ..

قال تعالى : "....مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ..."

(المائدة: ٢٢)

و تأمل قول الله تعالى :

"...وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .."

لترى أن الإسلام دين الحياة ودين الرحمة .. أين ذلك من الذين يستبيحون حياة الناس وحرمااتهم تحت ذرائع مختلفة ليست من الدين ؟

إن الحفاظ على حياة الناس أصل من أصول الإسلام ، لدرجة أنه يحذر من

استخدام أية آلة يمكن أن تصيب أحداً دون قصد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مرّ فى مساجدنا ، أو أسواقنا ومعه تَبْلٌ فليمسك ، أو ليقبض على نصالها بكفّه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء ، هو حديث متفق عليه ، ويبين لنا إلى أي مدى يحرص الإسلام على حياة الناس ودمائهم ؛ فالذى يمشى ومعه سهم يجب أن يقبض على حديدتها أو رأسها حتى لا تصيب أحداً بمكروه سواء كان فى المسجد أو الشارع أو السوق أو أى مكان آخر.

\*\*\*\*

## الصحابه و الحمى - ١

تروى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فتقول : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم . وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم .

قالت : فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال موليا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوبك ، فدنوت من أبى بكر ، فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟

فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت والله ما يدري أبى ما يقول . ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة ، فقلت له : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا تركته

الحمى اضطلع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة بفتح وحولى إذ خرو جليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل...

(حديث صحيح ، أخرجه مالك و البخارى و مسلم وغيرهم )

.....

هذه القصة النبوية تكشف لنا جانبا من جوانب الابتلاء التى

ابتلى بها المسلمون فى أوائل عهدهم بالهجرة . وهذا الجانب يتمثل فى الوباء الذى

أصاب المدينة المنورة وأهلها ، وكانت الحمى ضيفاً ثقيلاً أصاب الصحابة رضوان الله عليهم و صرفه الله عن نبيه - صلى الله عليه وسلم .

و الحمى أو المرض عمومياً يمثل اللحظة الحقيقية التى يعود فيها الإنسان إلى ذاته ليكتشف ضعفه وهوانه . إنه فى حال الصحة والعافية ينسى كثيراً من البديهيات ، وبعض الناس ينسى دينه وإيمانه والعباد بالله - فيتجبر فى الأرض ويطغى على غيره من البشر ، ويظلم ويعر يد ، ويظن أن الحياة ستظل هينة لينة رخاءً ليفعل ما يريد دون صعوبات أو معوقات .. ولكن المرض يعيده إذا كان ذا فطرة سوية ونفس نقية إلى الحقيقة التى تناساها ، والحق الذى تجاهله فى غمرة قوته وعافيته فيجد نفسه ضعيفاً لا يقدر على شىء ، بل إنه أحياناً لا يستطيع أن ينتقل من موضع نومه أو مجلسه ويرى أنه محتاج إلى غيره لمساعدته أو يعينه على بلائه الذى أصابه .

و هنا تكون العظة و الاعتبار " إن فى ذلك لذكرى لأولى الأبواب " فاعتبروا يا أولى الأبواب " .. فهناك قوة سرمدية ، أبدية أزلية ، يجب ألا تغفل عنها وهى الله جل وعلا .

و عائشة رضى الله عنها تروى ما أصاب الصحابة من حمى المدينة ، و تقدم لنا حال بعض أسرتها الذين أصابهم المرض . أبوها أبوبكر ، و بعض مواليه : عامر بن فهيرة و بلال بن رباح ؛ رضى الله عنهم أجمعين .. كل منهم أصيب بالمرض ، و صار قعيد البيت لا يبرحه ولا يخادره و انعكس المرض على كل منهم يذكره بالموت ، و التذكار بالموت يعنى اكتشاف صلابة الإيمان و قوة اليقين ، ثم وهو الأهم الرضا بالقدر ، و الاستعداد للقاء الله .

إن أبا بكر ربيب عائشة ابنته وهى تسأله عن حاله : كيف تجدك يا أبت ؟ يقول الشاعر الذى يصوغ الحياة فى بيت محكم من الشعر يؤكد حقيقة يتناساها الناس فى غمرة الحركة اليومية :

كل امرئ مصبح نسي أهله و الموت أذى من شراك نعله

إن الموت قريب من الإنسان قريباً شديداً ، حتى لو تجاهله أو تغافل عنه ،  
ومثلما هي المسافة بين شراك النعل أو السير الذي يربط النعل على ظهر القدم ،  
وصاحب النعل قريبة للغاية ، فالموت أيضاً قريب للإنسان قريباً شديداً .

تظن السيدة عائشة - رضى الله عنها أن أناها يهدى ، ولا يدري ما يقول  
من شدة المرض أو الحمى فتذهب إلى مولاه عامر بن فهيرة ، وكان مسموحاً لنساء  
النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك الحين بالتحدث إلى غير بيت النبوة والظهور  
أمامهم ، قبل أن تنزل آية الحجاب في تشريع خاص بهن ..

\*\*\* وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ... (الأحزاب: ٥٢)  
إن عائشة تجد عامراً في الحال نفسها التي رأت والدها عليها .  
وهو يقول :

لقد وجدت الموت قبل نوقه                      إن الجبان حتفه من فوقه  
كل امرئ مجاهد بطوقه                      كالثور يحمى جلده بروقه

ويحمى جلده بروقه أى بقرنه . والأرجوزة تؤكد على حضور الموت وقربه  
من الإنسان ، وفناء الدنيا الحتمى ، وهو ما يؤكد بلال رضى الله عنه أيضاً ، حين  
يرفع صوته أو عقيرته حين تخف عنه الحمى ، فتسمعه عائشة يقول حالماً بالحياة  
وأملأ .. وإن كان يأس الحمى يستبعد الحلم والأمل و يؤكد على الموت :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة                      بفتح و حولى إذ خرو جليل  
وهل أردن يوماً مياه مجنة                      وهل يبدون لى شامة و طفيل ...

و الفج موضع بمكة ، ويقال إنه اسم واد دفن به عبد الله بن عمر ، و الإنذر  
و الجليل من النباتات ذات الرائحة الطيبة . أما مياه مجنة و شامة و طفيل فهي  
مواضع و كلها ترد على ذهن بلال المريض بالحمى الذى يستبعد الشفاء ورؤيتها من  
جدد .

\*\*\*                      \*\*\*

## الصحابة و الحمى - ٢

روت عائشة رضى الله عنها ما أصاب الصحابة من الحمى في المدينة، وكشفت لنا مشاعر الموت و اليأس من المرض التي اعترت والدهما أبا بكر وصاحبيه من الموالى : عامر بن فهيرة و بلال بن رباح رضى الله عنهم أجمعين .

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ، فقلت : إنهم ليهذون ، وما يعقلون من شدة الحمى .

قالت : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

" اللهم حبّب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيجة " .

و يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة ، هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضاً وصرخ الله تعالى ذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود .

قال : فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يصلون كذلك ،

فقال لهم : " أعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم "

قال : فتجشم المسلمون القدام على ما بهم من الضعف و السقم التماس الفضل .

.....

الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه ، لمعرفة مدى صبرهم واحتمالهم ، واختبار صلابة إيمانهم وقوة يقينهم . ضعاف الإيمان يصيبهم الهلع والرعب وينهارون سريعاً .

أما أقوياء الإيمان فيزدون كل شيء إلى الله ، ويسلمون بقدر الله ؛

ويطلبون منه العون والسادد .

قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِرَ الصَّيْرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" (البقرة ١٥٥-١٥٧)

وقال تعالى: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (ال عمران: ١٨٦)

والحمى التى أصابت الصحابة فى المدينة جعلتهم يتذكرون الموت أو يياسون من الحياة ، والمشاهد التى رأتها عائشة رضى الله عنها لأبيها وعامر بن فهيرة و بلال بن رباح ، جعلتها تنقل ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وتصف أقوالهم بالهذيان ، و أن الحمى أفقدتهم عقولهم .

و نرى تعليق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما قالته عائشة يتجه فى مسار آخر ، يتناول المدينة ووطناً للمسلمين ، والدعاء بنقل الوباء إلى مكان آخر .

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو ربه قائلاً :

" اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، كما حبيبت إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا فى مَدُّهَا وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيجة ."

هذا الدعاء يشير إلى حبّ النبى - صلى الله عليه وسلم - لوطنه الأسمى مكة ويرد على الذين يقولون إن الإسلام يتناقض مع الوطنية . فحب الأوطان والتمسك بها والدفاع عنها جزء من الإيمان ، ومن يفرض فى وطنه أو يقدمه للاعداء دون دفاع هو خائن لله ورسوله ، فالوطن هو أرض الإسلام التى ينبغى ألا يفرض فيها مسلم تحت أى ظرف من الظروف .

و النبى - صلى الله عليه وسلم - يطلب من ربه أن يحبب إليه وإلى الصحابة المدينة مثلما حبيب إليه مكة أو أشد ، فهى البلد الذى أوى ونصر ،

وهى البلد الذى أولياؤه أولياء بعض ، مع ما أصابها من الحمى ؛ يرجو أن يكون حبها مستمرا على أن يبارك فى قلبها وكثيرها أو حسب تعبيره - صلى الله عليه وسلم - مذهباً وصاعها ، والمدّ والصاع من مكابيل الحبوب ونحوها ، والمدّ ربع الصاع ، والصاع يبلغ نحو خمسة أرتال ، أى ما يزيد على اثنين من الكيلوات قليلاً بموازين عصرنا ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يطلب من ربه أن ينقل وباء المدينة إلى مهيجة أى الجحفة ، وهى موضع على طريق المدينة وكانت آنئذ يجتنبها الناس ، لأن ماءها كان يصيب من يشربه بالحمى ..

لقد كان ابتلاء المسلمين فى المدينة بالحمى تجربة شديدة ، ولكنهم تحملوها بصبر ورضاً .. أجهدتهم إجهاداً شديداً حتى إنهم كانوا لا يقدرّون على أداء الصلاة وقوفاً ، فكانوا يؤدونها وهم قعود . وقد أخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن فضل صلاة القاعد يساوى نصف فضل صلاة القائم ، وهو ما حفزهم على مغالبة مرضهم وتحمل أو تجشم الصلاة وهم قوف على ما هم فيه من جهد ومشقة ومرض .. حرصاً على نيل ثواب الصلاة كله ، وفضلها كله ..

ولا شك أن الله سبحانه رءوف رحيم بعباده ، هو أرحم بهم من الأم بولدها ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم به ، ولكن القصة النبوية تشير إلى حرص المسلمين على أداء الصلاة فى صورتها المثلى لئبناوا الفضل كله بإذنه تعالى .

ولا يعنى الصلاة قاعداً أنها غير مقبولة ، بل هى مقبولة إن شاء الله مادام صاحبها من نوى الأعذار والضرورات ، ولكن التشريع يحض المسلم على الأداء الكامل للعبادات طالما أمكنه ذلك ولو فى شىء من المشقة ؛ ونحن نعلم أن صلاة النافلة تجوز من قيام وقعود للمريض والسليم على السواء ، ولكن صلاة القائم تفضل صلاة القاعد .. فاللهم اشف مرضانا وارحم موتانا ، وأهلك أعداءنا ، ولا تخيب رجاءنا ، ونجنا برحمتك من القوم الظالمين .

## ألف دينار في البحر

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :- " إن رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسَلِّفه ألف دينار . فقال : ائتنى بالشهداء أشهدهم .

فقال : كفى بالله شهيدا .

قال : فائتنى بالكفيل ..

قال : كفى بالله كفيلا .

قال : صدقت . فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج في البحر ، فقضى حاجته . ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار ، وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها إلى البحر ، فقال : اللهم إنك تعلم أنى تسلفت فلاناً ألف دينار ، فسألنى كفيلاً ، فقلت . كفى بالله وكيفلاً . فرضى بك ، وسألنى شهيداً . فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضى بك ، وإنى جهدتُ أن أجد مركباً أبعثُ إليه الذى له فلم أجد . وإنى أستودعُكها ، فرمى بها إلى البحر حتى وُلِّجَتْ فيه ، ثم انصرف ، وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذى كان أسلفه ، ينظر لعل مركباً قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حليباً ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة . ثم قدم الذى كان أسلفه ، فأتى بالألف دينار وقال :- و الله ، ما زلتُ جَاهداً فى طلب مركب لاتيكَ بمالك ، فما وجدت مركباً قبل الذى أتيت به .

قال : هل كنت بعثت إلى شيئاً؟

قال : أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل الذى جئتُ فيه .

قال : فإن الله قد أتى عنك الذى بعثت فى الخشبة ، فانصرف بالألف

دينار راشداً .

(أخرجه البخارى ، وأحمد ، والبيهقى )

تحمل القصة التي وردت في الحديث الشريف عناصر الحكى القصصى بما فيها من تشويق يصنعه تسلسل الأحداث ، و متعة يقدمها البناء القصصى حتى يصل القارئ أو السامع إلى نهاية القصة .

فهناك الحدث أو الفكرة التي تتمثل فى قيام رجل من بنى إسرائيل بالاقتراض من رجل آخر مبلغ ألف دينار، ويحاول الأول ردّ هذا المبلغ إلى الدائن أو المقرض فتعجزه الوسيلة ، فيضطر إلى إرسالها عن طريق خشبة يلقى بها فى البحر. حيث أخذ خشبة فنقرها : أى حفرها ، وصنع تجويفاً بداخلها يتسع للمال الذى اقترضه من الرجل مع رسالة تحمل اسم صاحب الدين . ثم زجج موضعها : أى سمرها بمسامير كالزجّ لتكون محكمة الإغلاق فتنجو من رشح الماء الذى يمكن أن يفسدها بالبلل. ثم رمى بها إلى البحر حتى ولجت فيه ، أى دخلت فى البحر، وعامت على سطحه ليحملها الموج إلى المكان المتوقع إذا شاء الله . فقد جَهد أن يجد مركباً : أى بذل غاية جهده لعله يجد مركباً يحمله إلى صاحب الدين حتى يؤديه إليه . وشاءت إرادة الله أن تصل الخشبة إلى صاحب الدين الذى أراد أن يتخذها وسيلة للتدفئة ، ولكنّه عند نشرها : أى قطعها بالمنشار حتى يستخدمها وقوداً و حطباً يشعل فيه النار وجد المال والمرسالة .

وهناك الزمان الذى تجرى فيه أحداث القصة ، وهو زمن بنى إسرائيل أى فى عصر بعيد ضارب فى القدم ، وهو زمن له دلالاته فى سياق القصة حيث يشير إلى طبيعة الأخلاق و ثباتها لأنها مرتبطة بخصائص الإنسان وسلوكه فى كل زمان، فالإنسان لا تتغير خصائصه بتغير الزمان ولا تتغير قيمة النبيلة أو غير النبيلة بمرور الأيام ، فالخير هو الخير ، و الشر هو الشر ، وإن تغيرت الوسائل والغايات .

وهناك المكان الذى يشمل البحر والمركب و الخشبة . و البحر يشير إلى محيط كبير يتحكم فى حياة الناس أو يرتبط بها إلى حد كبير ففيه رزقهم ومعاشهم. يعمل به اللحم الطرى ، و ينتقلون فوقه من مكان إلى آخر عبر المركب والسفن ، كما تطفو فوقه الكائنات و الجمادات التى لا تغطس أو لا تغرق ، و كانت الخشبة

والمركب فى قصتنا مكاناً يطفو فوق الماء و يحمل بعض أطراف القصة أو أحداثها من موضع إلى آخر .

المركب تحمل المدين ، والخشبة تحمل الدين - والمكان هنا يشير إلى اتساع الحياة باتساع البحر و يحدّد الحقيق كما تتحدد مساحة السفينة والخشبة .  
أما الشخصية القصصية - كما رأينا - فهى شخصية مبهمه منكّرة " رجل من بنى إسرائيل " ، و ذلك للدلالة على شيوع أمر " المداينة " بين الناس ، واحتياج كل شخص إلى غيره من الناس يقترض منه أو يقرضه مساعدة و تضامنا و تكافلاً و حلاً للمشكلات . -

و الرجل الأول فى القصة (المقترض) يشبه الرجل الآخر (المقرض ) فلا اسم لهما ولا مميزات ولا صفات إلا نسبتهما إلى بنى إسرائيل و عصرهم .

و يقوم الحوار بجلاء فكر الشخصية القصصية و تصوّرها عن المداينة وارتباطها بالإيمان العميق و الوثيق بالخالق جلّ و علا . فالرجل المقترض يطلب من صاحبه أن يسلفه ألف دينار . و هذا يطلب شاهداً فيقنعه بأن الله خير الشاهدين "كفى بالله شهيداً" ثم يطلب منه كفيلاً ، فيقنعه بأن الله خير الكافلين " كفى بالله كفيلاً " ، وحينئذ يقول له : صدقت . إنه حوار موجز مكثف يبرز إيمان الرجلين ، الدائن و المدين و ثقتهما المطلقة فى الله سبحانه و تعالى شهيداً و كفيلاً لا يضيع الحقوق ولا يهدرها مهما حاول الناس إخفاء الحق أو طمس ملامحه ، فهناك من يرى و يسمع و يهيمن بقدرته على جميع المخلوقات فلا يظن أحد أنه يمكن أن يهرب بحق من حقوق الله .

و كما نرى فى سياق القصة نجد عقدها تتمثل بالتدرج فى الإقراض دون شاهد أو كفيل إلا الله ، فالناس كما جرت العادة يُشهدون على معاملاتهم ، وياتون بضامن يضمن ديونهم ، ولكن الرجلين ارتضيا عن إيمان أن يكون الله شهيداً و كفيلاً ..

ثم تزداد العقدة إحكاماً وقوة حين يعتزم المدين ردّ الدين ، فلا يجد مركباً أو سفينة تحمله إلى بلد الدائن أو المقرض وحين ييأس من وجود من يوصل الدين إلى صاحبه ، يفكر بإرساله داخل تجويف خشبة يلقيها في الماء ، واثقاً في الله ومسلماً إليه الأمر : " اللهم إنك تعلم أنى تسلّفت فلاناً ألف دينار ، فسألنى كفيلاً . فقلت : كفى بالله وكيفلاً . فرضى بك .

وسألنى شهيداً ، فقلت كفى بالله شهيداً ، فرضى بك ، وإنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أجد " وإنى أستودعكها .. فرمى بها إلى البحر ، حتى ولجت فيه ثم انصرف .. "

و كأن القاريء أو المستمع يتشوق لمعرفة هل ستصل الخشبة إلى الدائن ويعتز على ما فيها من أمواله ؟ أو إنها ستذهب مع الموج إلى مكان آخر لا يعرفه أحد ، أو إنها ستصل إلى يد شخص آخر لا علاقة له بالدائن أو المدين ؟

هنا نجد القصة تقدم لنا صورة المدين وحرصه على تسديد دينه ، ولو اضطر إلى ذلك مرتين .. فهذا هو بعد أن وضع دينه في الخشبة التي ألقاها في الماء ، يجد مركباً يركبه حتى يصل إلى الدائن ، ويعتذر إليه عن تأخره عن الأجل المحدد للسداد بسبب عدم وجود مركب يركبه في الفترة الماضية ، ولكن الدائن المؤمن الذي رضى بالله كفيلاً وشهيداً لا يستخفه الطمع ، ولا تغريه الدنيا ، فيحاول أن يستفسر من صاحبه : " هل كنت بعثت إليّ شيئاً ؟ "

ولكن المدين المؤمن الحريص على سداد دينه ، لا يجيب مباشرة بما فعله من تجويف للخشبة ووضع المال فيها وإلقائها في المال ، ولكنه يجيب بما يشبه الاعتذار : " أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل الذي جئتُ فيه "

وهنا تتجلى روعة الإيمان الموصول بالله والخوف منه ، فيقول له الدائن : " فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشداً " .

و هكذا ننحل عقدة القصة وفقاً لفهوم إبّانى يميّز طرفى القصة ، ويحرص كل منهما على الوفاء بحق صاحبه : ذيناً أو اعترافاً بسداه .

إن الشرائع الإلهية حريصة على توفير العلاقات الإنسانية الطيبة فى المجتمعات وأساس هذه العلاقات هو المعاملة الطيبة ، وهذا من أبرز معطيات القصة ؛ فالدين المعاملة كما علمنا الإسلام الحنيف والمعاملة الطيبة تقضى من القادر مساعدة العاجز ، والقوى مساعدة الضعيف ، والغنى مساعدة الفقير .

هذا الالتزام الخلقى الإنسانى تجاه الآخرين ممن يحتاجون إلى العون والمساندة يمتد إلى الالتزام والوفاء بالعقود والاتفاقات والمواثيق ، وهو ما رأيناه بين المدين والدائن ، فالدين حريص على الوفاء بالتسديد فى الأجل المحدد ، والدائن لم يستغل فرصة وصول الخشبة وإخفاء الحقيقة عن صاحبه الذى أبدى استعداداً لتسديد الدين مرّة أخرى لعلمه أن الطريقة الأولى للتسديد لم تكن طبيعية ولم تكن مؤكدة .. قارن هذا بما يحدث الآن من فساد بعض الذمم والنفوس ، وانظر إلى عدد القضايا المرفوعة فى المحاكم وأقسام الشرطة بسبب الشيكات التى لم تسدد وإبصالات الأمانة التى لم تدفع والوعود التى لم تنفذ ..

ولنا أن تخيل أثر ذلك على السمعة والثقة وحركة التعامل بين الناس ..

إن الأمانة فى التعامل هى أساس التجارة والعلاقات الإنسانية الاجتماعية ولذلك نجد أن الالتزام الدينى مما يجعل الناس يرددون دائماً : الدين المعاملة .

و يعطينا الحديث ملامحاً سياسياً من ملامح التعامل بين الناس وهو ضرورة الإشهاد والتوثيق فى معاملتنا مع الالتزام الدينى والخلقى .. فعند المداينة أو المبايعه لابد من الكتابة والتوقيع والإشهاد والتوثيق ، حتى لا تضيق الحقوق عند تغير الظروف وتحوّل النفوس .

قال تعالى في آية المداينة وهي من أطول آيات القرآن الكريم :  
 "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى  
 فَأَكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ..... " (البقرة: ٢٨٢)

و قال تعالى :

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ..... " (المائدة: ١)

و هذه الآيات وغيرها تدلنا على ضرورة تسجيل المعاملات و توثيقها  
 بالشهادة مع الوفاء بها ، حتى لا يحدث خلل في التعامل بين الناس .

و يجب أن يتأكد المسلم ، عميق الإيمان ووثيق الصلة بالله ، من أن الله  
 شهيد على كل التعاملات و السلوكيات و النوايا ، وهو أيضاً المضمن و الكفيل الذي  
 لا يضيع الحقوق ، و قدمت لنا القصة نموذجاً حياً ، و مثلاً حاضراً ، عندما وصلت  
 الخشبة إلى صاحب الدين فتسلمه ، وهذا يؤدي بنا إلى معطى آخر من معطيات  
 القصة وهو أن حبل الله موصول إذا انقطعت الأسباب بين الناس .

بعض الناس يظنون أنهم فقدوا الأمل أو فقدوا الأسباب بما يريدون ، ولكن  
 الله سبحانه - وهو المهيمن القادر القوي - يصل حباله بمن يؤمن به ، ولا يضيعه .  
 إن القصة التي وردت في الحديث الشريف تقدم لنا صورة مضيئة  
 للتعامل الإنساني القائم على الالتزام ، و مراقبة الله ، و الخوف منه ، و رفض  
 الانحراف مهما كانت المغريات و المخاوف .

و صدق الله إذ يقول : "..... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا " (الطلاق: ٢)

"..... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " (الطلاق: ٤)

\*\*\*\*

## جبريل عليه السلام يعلم الصحابة

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال :

بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال :

- يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- الإسلام : " أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " .

قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه .:

قال : فأخبرنى عن الإيمان .

قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن

بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرنى عن الإحسان ..

قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : فأخبرنى عن الساعة ..

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرنى عن أماراتها .

قال : أن تلد الأمة ربقتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء

يتطاولون فى البنيان .

ثم انطلق فلبثت ملياً ، ثم قال :

- يا عمر! أتدري من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

أخرجه : مسلم و أحمد و أبو داود و الترمذى و النسائى و البيهقى .

.....

أول عناصر القصة هنا هو الحدث أو الموضوع ، ويدور حول سائل يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عدة أمور ، هى الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة ويبدأ الحدث بوصول السائل وإلقائه الأسئلة وتصديقه بإجاباتها التى يقدمها له الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله " تشهد أن لا إله إلا الله .... الخ " أى تقرُّ وتعترف بوحداية الله - جل و علا ورسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقية أركان الإسلام ، و " تقيم الصلاة " أى تواظب على إقامتها كاملة الشروط والأركان ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت : " إن استطعت إليه سبيلاً " ، والمقصود بالاستطاعة هنا : القدرة على السفر وامتلاك متطلباته من طعام وشراب ومصروفات وقوة تحمل لمشاقه وصعوباته . ويصدق السائل على ذلك فيتعجب الصحابة من ذلك ، فيسأله عن الإيمان ؛ فيجيبه : تؤمن بالله : أى تؤمن بوحدايته - لا شريك له - وتعبده وحده دون سواه . وملائكته وكتبه : أى الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والقرآن ؛ ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر ؛ أى ما قضى الله به على عباده وقدر حدوثه لهم . فيصدق السائل ، ويسأله عن الإحسان فيجيبه . والإحسان يقصد به إتقان العبادة وكمالها . " كأنك تراه " يقصد به أقصى درجات الرقابة فلا تفعل إلا ما يحب وتنتهى عما لا يحب .

ويسأله عن الساعة فيجيبه بأن المسئول وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم عنها إلا ما يعلمه السائل ، فيطلب منه معرفة علاماتها أو أماراتها أو الإشارات الدالة عليها، فيخبره أن تلد الأمة ربتها ، والأمة : أى المرأة الرقيق المملوكة لغيرها وفقاً للنظام الدولى الذى كان سائداً قبل نزول الوحي . ويقصد بقوله " ربتها " ، أى سيّدها ؛ كناية عن انقلاب الأوضاع الاجتماعية ، ومن علامات الساعة أيضاً تطاول الرعاء فى النيان...ونعلم من الحدث بعد أن لبث عمر مليا وانتظر بعض الوقت عقب انصراف السائل أنه كان جبريل عليه السلام .

وثانى هذه العناصر ، هو الشخصية القصصية ، وتبدولنا منذ بداية الحديث حتى قرب نهايته شخصية غير معروفة ، أو غريبة على المكان وأهله ، ولكن القصة تقدمه لنا فى صورة رجل شديد بياض الثوب ، مما يدل على علو مكانته وأصالته مثبته ، ثم إن له من صفاته الجسدية شدة سواد شعره ؛ وهناك أيضاً صفات معنوية له : فهو غير مسافر ولا يعرفه أحد . والعادة أن يكون غير معروف لدى الناس ، قادماً من سفر ، وتبدو عليه علامات المسافر من رهق وتعب وغير ذلك ، ولكن شخصيتنا مع وجودها الغريب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضوان الله عليهم ، لا تبدو عليهم علائم السفر بل ترتدى ثوباً شديد البياض ، وهو ما يشوق إلى متابعتها والتطلع إلى معرفة من هى ؟

و ثالث عناصر القصة هو الحوار ، و طبيعى أن تعتمد القصة هنا على الحوار فهناك سائل يسأل ، و مجيب لابد أن يجيب ، ومن خلال السؤال والإجابة تنمو المعلومات المراد إيصالها للسامعين ، فضلاً عن السائل نفسه ، ويدور الحوار الذى يكشف عن أهمية المتحاورين و أهمية الموضوع حول أركان الدين ومقوماته ، بحيث يكون المسلم على أحسن صورة فى إيمانه و معتقده و اتصاله بالخالق المعبود جل و علا .

ورابع العناصر البارزة في القصة هو ما يتعلق بالذروة والختام  
 أو النتيجة فقد جاء الرجل ليسأل ثم يسأل ثم يسأل . دون أن يعرفه الصحابة ، وبعد  
 أن انصرف الرجل ؛ مكث و كأنه ينتظر ليعرف من هو هذا الرجل الغريب الذي لا  
 تبدو عليه علامات السفر ، فإذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يفسر الأمر لعمر ،  
 ويخبره أنه الذي كان يسأله هو جبريل عليه السلام ، جاء على هيئة رجل شديد  
 بياض الثوب ، شديد سواد الشعر ليعلم الصحابة رضوان الله عليهم أمور الدين  
 عن طريق الحوار مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

تعطينا هذه القصة أكثر من معطى ، فهي تفرق بين مستويات عديدة للعقيدة  
 فالإسلام مرحلة من مراحل العقيدة تليها مرحلة الإيمان تليها مرحلة الإحسان ،  
 الإسلام أولى درجات الدين بإقامة أركانه الخمسة : الشهادتين والصلاة والصيام  
 والحج لمن استطاع إليه سبيلاً .

والإيمان إقامة التوحيد عن تسليم قلبي خالص مع الإيمان بالله وملائكته  
 وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

قال تعالى :

"قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلِّ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا  
 وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ  
 مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ..... " (الحجرات: ١٤)

و في هذه الآية الكريمة بيان للفارق بين الإسلام والإيمان . الإسلام  
 تظهره أعمال الجوارح بالقول والسلوك ، أما الإيمان فهو الاطمئنان القلبي  
 ولاستسلام بالطاعة لله ورسوله . وقد وردت معظم أركان الإيمان في قوله تعالى :  
 "ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
 وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ ..... " (البقرة: ٢٨٥)

و تعطينا القصة إجابة ما عن موعد الساعة أو القيامة ، فمعرفة هذا اليوم وتحديد سر من أسرار الحق سبحانه وتعالى اختص به نفسه دون خلقه ، ولكن هناك علامات من علاماته تشير إليه وإلى اقترابه .

قال تعالى :

"يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ... (الأحزاب: ٦٣)

و قال تعالى : "إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ..... " (فصلت: ٤٧)

و قال تعالى : "..... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا " (الأحزاب: ٦٣)

ومع ذلك فإن القصة تشير إلى أن للساعة علائم ومقدمات تدل على اقترابها ، منها ما ورد في الحديث الشريف أو القصة النبوية كأن تلد الأمة ربتها ، أى تصير الأمة المسترققة سيدها صاحبته التى اشترتها وأنفقت عليها ، وهذا كناية عن انقلاب المواضع الاجتماعية . وفقدان الاحترام المتبادل ، وحلول الاستعلاء المرذول بدلاً من التواضع المحمود .

قال تعالى على لسان لقمان عليه السلام لابنه بوصيه :

"وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ

اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧٦﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ

صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " (لقمان : ١٨-١٩)

ومن أمارات الساعة أيضاً أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . و " الرعاء " يقصد به الرعيان الذين يرعون الإبل والماشية ونحوها و قوله الشاء : يقصد به الشياه . وقوله " يتطاولون فى البنيان " يقصد به المفاخرة والمباهاة ، وكلمة " التطاول " هنا ، فيها معنى الافتعال والادعاء ، لذا فالتطاول فى البنيان ، يشير إلى ما يحاوله بعض الناس من ارتقاء مواضع ليست لهم ، وادعاء درجات أو مناصب لا يستحقونها ، أو مكانة لا يستحقونها -

بحكم تواضع قدراتهم ومواهبهم وإمكاناتهم ، ولا يظنن أحد أن الإسلام يقلل من قيمة أحد ، أو يعبر عن عنصرية تجاه بعض الأفراد في المجتمع ، أو يحتقر بعض المهن والأعمال ، فهو الذى جعل الناس سواسية كأسنان المشط ، والمفاضلة بينهم تقوم على أساس التقوى ، وهو يشيد بكل عمل شريف يأتى من الكد والكسب والعرق ، وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده .

و القصة التى بين أيدينا تجعل انقلاب الأوضاع دليلاً على قيام الساعة، لأن الأمور صارت غير طبيعية ، حيث ارتقى الأدنى مكانة الأعلى دون حق، ونزل الأعلى إلى موضع الأدنى دون ضرورة أو مسوغ .. وهكذا تقوم الساعة .

ومن معطيات القصة إرساء منهج إسلامى تربوى معرفى سبق النظريات المعاصرة التى تكثر من الرطانة حول ما يسمى حق السؤال أو المسألة .. ففى القصة سؤال يؤدى إلى جواب .

السؤال فى الإسلام حق وواجب ووسيلة معرفية تربوية ، والإجابة فريضة على كل من يعرف و يقدر على تقديمها ، وقد وضعها الإسلام فى إطار محترم وراق ، ونعى على من يخالفها ، لأنه يخالف المنطق والأصول المعرفية .

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ" (الحج: ٨)

وقال تعالى : "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ..... " (العنكبوت: ٤٦)

وقال تعالى : "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... " (النحل: ١٢٥)

ولا ريب أن منهج المعرفة فى الإسلام له أبعاد كثيرة يصعب الحديث عنها فى هذا الحيز الضيق ، ولكنه فى النهاية ، يجعل المسلم يعيش عمره كله طالباً للعلم، محبباً للمعرفة باحثاً عنها فى كل المكان .

وفى القصة صورة مضيئة للعلاقة بين المعلم والمتعلم ، هى علاقة الإخلاص والبذل والعطاء من جانب الأول . والتواضع والجدية والاحترام من جانب الآخر.

إن جبريل عليه السلام يقترب من النبى ، صلى الله عليه وسلم - لا يبخل بإجابة ولكنه يجيب ويوضح ويشرح ، لأن هذه مهمته بوصفه الداعية الأول الذى يقدم القدوة والنموذج للأجيال التالية من الدعاة والمعلمين إلى يوم الدين ... ثم انظر إلى تواضع المصطفى صلى الله عليه وسلم حين يخاطب عمر - رضى الله عنه - وهو يُعلمه بشخصية الرجل الذى جاء يسأل :

" فإنه جبريل أناكم يعلمكم دينكم " .. لم يقل أنا الذى يعلمكم ، ولكنه نسب العلم إلى جبريل الذى قام بدور السائل ، ومع ذلك فهو " المعلم " الذى يقدم نموذجاً هادئاً وبسيطاً ومثمراً لكيفية التعلم بعيداً عن الأمر والنهى المصحوبين بالزعيق والصياح والصراخ .. إنها مدرسة النبوة فى تألقها الساطع الوديع الذى يجمع القلوب ويؤلف الأفتدة ويشرح الصدور ويحيى النفوس ...

\*\*\*\*

## القرد و الخمر

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن رجلاً حمل معه خمرأ فى سفينة يبيعه ، ومعه قرد - قال : فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ، ثم باعه - قال : فأخذ القرد الكيس ، فصعد به فوق الدقل . قال : فجعل يلرح دينارأ فى البحر ، ودينارأ فى السفينة حتى قسمه . وفى رواية أخرى : إن رجلاً كان يبيع الخمر فى سفينة ، ومعه فى السفينة قرد - فكان يشوب الخمر بالماء . قال : فأخذ القرد الكيس ، ثم صعد به فوق الدور ، وفتح الكيس ، فجعل يأخذُ دينارأ فيلقيه فى السفينة ، ودينارأ فى البحر حتى جعله نصفين " (أخرجه أحمد والبيهقي )

.....

جتمع فى قصة هذا الحديث عناصر القصة المعروفة . فالحدث هنا هو بيع الخمر المغشوش مخالفة لما استقر عليه المجتمع من الأمانة فى البيع والشراء ، وثقة المشتري فى البائع الذى يفترض أن يكون أمينأ .

و المكان هنا هو السفينة والبحر . والسفينة تمثل المجتمع بحكم ما تضمه من مسافرين وبحارة على ظهرها يشيرون إلى أفراد المجتمع الذين تتفاوت وئلائفهم ومهنهم وأعمالهم ، واحتياج بعضهم إلى بعض ، وبخاصة فى البيع والشراء ، ومنهم بائع الخمر الذى يسعى إلى الكسب ولو كان بالغش أو الخروج على قواعد المجتمع .

و سوف نلاحظ أن الزمان جاء مجهولأ فى القصة على العكس من المكان ولعله يشير هنا إلى فترة لم تكن فيها الخمر محرمة ، وكان الناس يتداولونها مثل

بقية السلع وهو ما يشير من ناحية أخرى إلى تحريم الغش فى الأزمنة كافة ،  
والسلع كافة .

أما عنصر الشخصية فى القصة فيضم شخصية البائع الغشاش  
والقرد المرافق له وكلاهما يكمل الآخر من حيث إن البائع يخرج على سياق  
المواضعات الاجتماعية فى البيع والشراء بغش بضاعته ، والقرد يستنكر هذا  
الخروج ويرفضه .

ثم لنا أن نتأمل موقف القرد الذى يمثل الطبيعة الحيوانية والفطرة  
التلقائية فى التصدى لخروج الإنسان عن المواضعات الاجتماعية أو ما يمكن  
تسميته بالفطرة الإنسانية وهذا التصدى هو ما يفسر بذروة العقدة القصصية فى  
الحديث ، حيث تنحل بعدئذ بقيام القرد بالصعود إلى الدقل : وهو الصارى الذى  
يرفع فوقه شرع السفينة ، وهو أعلى جزء فيها حتى لا يتمكن منه صاحب الخمر ،  
ويأخذ فى تقسيم ما فى كيسه من مال ، فيطرح : أى يرمى ما فى الكيس ، أى إن  
القرد أخذ يرمى ديناراً من ثمن الخمر فى الماء ، ويرمى آخر فى السفينة حتى صار  
المال قسمين أو نصفين ، إشارة إلى أن النصف الذى ألقاه فى الماء يعادل الجزء  
المغشوش من الخمر. لأن الرجل كان يشوب الخمر بالماء ، وشاب يشوب : أى  
خلط يخلط ، أى خلط الرجل الخمر بالماء فلم تعد صافية وصارت مغشوشة .. الماء  
طبيعى والخمر مغشوشة ، وفى الحالين نشهد المفارقة بين موقف الإنسان الذى  
ينحرف بطبيعته والحيوان الذى يصحح له هذا الانحراف ، فى بيع الخمر أو شربها  
على السواء .

لا ريب أن الخمر أم الخبائث ، وهى من الموبقات المهلكات على المستويين  
 الفردى والإجتماعى وقد تدرج القرآن الكريم فى تحريمها . فقد كانت شائعة فى  
 الجاهلية ، وكان ينتج عن تعاطيها شرٌ كثير ، قال تعالى :

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ  
 وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ...." (البقرة: ٢١٩)

وقال تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ  
 وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ  
 أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " (المائدة-٩١)

وقد تمنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - أن يتم تحريم الخمر تماماً لما  
 تسببه من شرٍّ وأذى ومتاعب وخسائر للأفراد والناس جميعاً ، فنزل قوله  
 تعالى : "....إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ  
 الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (المائدة: ٩٠)

ونلاحظ ارتباط الخمر بالميسر أو ما يعرف بالقمار ، وعبر عنها القرآن  
 الكريم بالرجس ، وكان التحريم بالاجتناب ، أى البعد تماماً ، ولذا كان الحديث  
 الشريف منبهاً إلى لعن الخمر وشاربيها وبائعها وشاربيها وكل من يشارك فى  
 تقديمها أو صنعها أو تسهيل أمرها .

وفى سياق القصة نجد إشارة إلى خلة مذمومة وهى " الغش " الذى  
 يتحقق غالباً فى البيع والشراء . فهو صفة ذميمة فى كل الأحوال ، وقد تبرا الرسول  
 صلى الله عليه وسلم من الغش والغشاشين ، فقال : " من غش فليس منا " ،  
 وهذه البراءة تشير إلى بشاعة جريمة الغش فى كل الظروف والمناسبات ، والمسلم  
 الحق هو الذى يقول الحق ويقول الصدق ويخشى الله فى السر والعلن .

تقدم لنا القصة موقفاً دالاً من الحيوان الذي هو القرد ، فى رفضه لانحراف الطبيعة البشرية . فالفطرة السوية فى الإنسان أو الحيوان أو الطير الذى فطرها الله عليها ترفض الانحراف ومخالفة الفطرة . وهو ما رأيناه فى تصرف القرد حين رأى صاحبه ينحرف عن فطرته ويخرج عليها ، فيقوم القرد بتصحيح هذا الانحراف وإعادة صاحبه إلى سواء الصراط .

ومن مجمل القصة يتبين لنا أن التشريع الإلهى فيه خير كثير للعباد والبلاد . فالخمر لا تنتج إلا الشرّ والأذى ، وعند تناولها يغيب العقل ، ويضيع الرشد ، ويضل الإنسان وعندئذ يرتكب من الجرائم والموبقات ، ما يؤدى به إلى طريق الظلام والضياغ والجريمة فىسئء إلى نفسه وإلى مجتمعه .

وتحريم الخمر ليس قيدياً على الإنسان أو حرماناً له من متع الحياة ، بقدر ما هو صيانة لنفسه و نفوس المجتمع .. ولسنا الآن فى مجال تعديد صور الخسارة بالنسبة للإنسان فى نفسه وبدنه وصحته وماله وعرضه ودينه ، وبالنسبة للمجتمع فى أفرادهِ وثرواته وقيمهِ وأخلاقهِ وأمنهِ وحاضره ومستقبلهِ ، ولكننا نشير إلى أن الله - وهو أعلم بمصلحة العباد - وضع لنا تشريعاً متفوقاً فيه فائدتنا وصلاحنا ، وعرّنا وكرامتنا وخيرنا ومجدنا ودنيا طيبة تمهد لأخرى طيبة فيها خمر طيبة بل فيها أنهار من الخمر .

"...وَأَنْهَرُ مِّنْ خَمْرٍ لَّدُنِّي لِلشَّارِبِينَ....." (محمد: ١٥)

وهذه الخمر لا تذهب العقل ولا تزرى بصاحبها "لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ

عَنْهَا يُنزَفُونَ" (الصفات: ٤٧)

أليس فى تشريعنا الإلهى خير كثير؟

\*\*\*\*

## الصبر على البلاء

عن خباب بن الأرت - رضى الله عنه - قال :

" شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد برده فى ظل الكعبة  
فقلنا :- ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل  
فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ،  
ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه وما يصدّه ذلك عن دينه .

والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت  
لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون "

" أخرجه البخارى ، و أبو داود "

.....  
.....  
.....  
بأتى الحدث أو موضوع القصة من خلال إطارين ، قصة كبرى ، وهى شكوى

الصحابة مما يعانونه ، ويسألون الرسول - صلى الله عليه وسلم - النصرة والدعاء .

ثم قصة صغرى وهى ما كان يجرى لبعض المؤمنين من تعذيب يصل إلى

حدّ النشر بالمنشار والتمشيط بأمشاط الحديد .

القصة الكبرى إطار أكبر لما يعانيه المؤمنون فى كل زمان ومكان من أجل

إيمانهم وعقيدتهم وضرورة أن يتحملوا ويصبروا حتى يأتهم نصر الله ويتم دينه .

و القصة الصغرى نموذج لما كان يحدث قبل الدعوة الإسلامية ، فقد

كان المؤمنون يتعرضون لأهوال تذهب بحياتهم بعد تعذيب بشع وحشى ، ولكنهم

ظلوا على مبادئهم ومعتقداتهم لا يتغيرون . وهو ما ينبغى أن يكون عليه المسلمون

فى صدر الدعوة . لقد ذهبوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد برده فى

الكعبة ، أى جعل البردة تحت رأسه بمنابة وسادة ، والبردة هى الشملة المخططة .

وقبل إنها كساء أسود مربع فيه اصفرار تلبسه الأعراب ، جمعها بُرد ، وطلبوا منه أن يستنصر لهم أي يطلب النصر ويدعولهم الله بالانتصار على من يعذبونهم ويضطهدونهم.. فيذكرهم بالسابقين ممن تحملوا الاضطهاد والعذاب ، وأن ذلك ما كان يصددهم أي ما يمنعهم العذاب بالمنشار وأمشاط الحديد عن دينهم وعقيدتهم .

ثم كانت هنالك بشارة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – مصحوبة بالقسم المؤكد عن حتمية انتصار الإسلام وسيادة الأمن في أرجاء الجزيرة العربية .

" والله لیتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " ويقصد بقوله : " هذا الأمر " الإسلام ، أي لیتمنَّ الله الإسلام .

والشخصية في القصة شخصية عامة لا نلمح إلا جانباً من ملامحها على أساس أن الشخصية معروفة سلفاً ، فهناك شخصية الصحابي الجليل " خباب بن الأرت " رضی الله عنه – وهو واحد من الصحابة الذين سألوا الرسول – صلى الله عليه وسلم النصر والدعاء .. ثم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم – نفسه الذي يتوجه إليه الصحابة بالطلب أو الرجاء ، ونراه في تواضعه وهو يتوسد برده ويضعها تحت رأسه بوصفها وسادة . وهو يجيب على أصحابه داعياً إياهم إلى الصبر على البلاء .. وهناك شخصيات مبهمة لرجال ينشرون بالمناشير ويمشطون بأمشاط الحديد التي تفصل اللحم عن العظم ، ومع ذلك يصيرون على البلاء ولا تتزعزع ثقتهم في الله . ولا إيمانهم به .

إن هذه الشخصيات المبهمة لأولئك الرجال . هي شخصيات المعذبين في العصور كافة والأماكن المختلفة .

و يظهر عنصر المكان هنا مشيراً إلى أهميته وقديسيته أو إلى اتساعه وامتداده ، فالكعبة التي ينام الرسول – صلى الله عليه وسلم – بجوارها تمثل رمزا

وبيتاً ولها قيمتها و مكانتها فى الإسلام منذ بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حتى عصر البعثة المحمدية الخاتمة .

كما أنها تشير إلى ارتباط الحدث القصصى وهو المعاناة فى سبيل العقيدة برمز العقيدة وهو الكعبة . وفى ذكر المسافة بين صنعاء وحضرموت إشارة أخرى إلى اتساع المكان وامتداده ، فانتصار الإسلام ينشر الأمن فى كل الأرجاء ، وإذا عرفنا أن صنعاء وحضرموت من أبعد الأماكن فى ذلك الوقت عن مركز الدعوة وهو الكعبة أو مكة المكرمة ؛ فإن بشارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - صدقت ، ووصل الإسلام إلى أبعد الأماكن بما فيها صنعاء وحضرموت ، ولكل منهما حضوره التاريخى والحضارى فصنعاء رمز الحكمة اليمانية ، وحضرموت هى منبع الدعوة الذين نقلوا الإسلام إلى أبعد مكان على ظهر الأرض كما نرى فى نشرهم له بإندونيسيا وما حولها من الجزر والأماكن .

أما ختام القصة ، فهو البشارة النبوية بانتصار الإسلام ، وقد جاءت مؤكدة بالقسم واللام ونون التوكيد الثقيلة ، وقد تحققت بفضل الله وانتصر الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

تكشف القصة فى أول معطياتها عن جانب الضعف الإنسانى أو البشرى فى مقاومته للشرّ ، وتعرض الإنسان لهزات نفسية عاتية حين تكون قوة أعداء الدين أكبر من قدرته على التحمّل والمقاومة ، وحينئذ يأتى المثال على الصفود والصبر من خلال ما تعرض له السابقون من المؤمنين فى الأمم الأخرى . . حيث كان الواحد منهم يوضع فى حفرة تستوعب معظم جسده ثم يؤتى بمنشار فينشر من رأسه فيكون نصفين ، ثم يمشط بأمشاط الحديد لتفصل لحمه عن عظمه ، ولكن ذلك كله لا يزعجه قيد أنمله عن إيمانه وعقيدته .

وقد وردت قصة أصحاب الأخدود فى سورة البروج لتقدم نموذجاً حياً للصبر على النلاء .

قَتِلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٦٠﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٦١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦٢﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦٤﴾  
(البروج: ٤-٨)

كما وردت آيات كثيرة تحت على الصبر وتوضح طبيعته وكيفية ثوابه ، منها قوله تعالى : "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ..... (الأحقاف: ٢٥) و قوله تعالى : ..... وَلَتَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل: ٩٦)

و قوله تعالى : "فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٤٢﴾ وَتَرَاهُ قَرِيبًا" (المعارج: ٥-٧) و قوله تعالى :

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ..... (ال عمران: ٢٠٠) و قوله تعالى : "..... قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة: ٢٥٠)

و تعطينا القصة نموذجاً للتواضع الإنسانى فى أنضج صوره ، وهو تواضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فمع أنه رسول مصطفى من عند الله ، يخصه بالوحي والإلهام وهو خاتم الرسل والأنبياء ، فإنه لا يجد غضاضة أن يصنع من برده وساداً أو وسادة يضعها تحت رأسه وهو ينام بجوار الكعبة فى بساطة متناهية ، وهو الذى علمنا أن " من تواضع لله رفعه " ، فأين هذا من استعلاء بعض الناس فى زمننا استعلاء مردولاً ، وتكبرهم بغير حق ، وخيلائهم التى يتصورون أنها تجعلهم من طينة أخرى غير طينة البشر ، ونسوا أو تناسوا أن لقمان عليه السلام يوصى ابنه بالتواضع و عدم التكبر .

"وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان: ١٨)

و هذا إدراك من لقمان عليه السلام لقيمة التواضع والبساطة فى حياة الناس .

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقدم لنا القدوة الحسنة فى مجال التواضع والبساطة والاقتراب من الناس ، والصبر على البلاء ، وهو الذى يستعين بالتاريخ أو المثل التاريخى ليفنح أصحابه بضرورة الصبر ، وعدم استعجال النتائج ، لأن الاستعجال يفسد المقدمات ويؤدى إلى نتائج غير طيبة ، فالصبر الجميل هو الطريق الحقيقى للحصاد المثمر والنتائج الباهرة .

و عملاً بإشاعة الأمل والبشارة فى النفوس ، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد بعثه الله مبشراً و نذيراً ، يبشر قومه الذين يصبرون على البلاء ولا يستعجلون النتائج قبل موعدها ، بانتصار الإسلام والتمكين له فى الأرض ، وتجاوز كيد الأعداء و تخطيط المتربصين " والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه .. " .

وقد تحققت البشارة و صار الأمل حقيقة . و أتم الله نوره ، ودخل الناس فى

دين الله أفواجا ، و نزل قوله تعالى :

"...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا...." (المائدة: ٣)

وهكذا فإن المؤمن صاحب العقيدة لا يد أن يتحمل فى سبيل عقيدته وإيمانه ويصبر على البلاء صبراً جميلاً ، وليكن له فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدوة حسنة ، وفى السابقين من أهل العقائد الذين امتحنوا فى إيمانهم نماذج للصبر على البلاء وعدم الاستعجال فى قطف الثمار .. وليكن أملمهم فى الله كبيراً ، فهو القادر على تحقيق غاياتهم ، و نصرهم على أعدائهم .

## الابتلاء و الرحمة

عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت لرسول الله - صلى

الله عليه وسلم :

- يارسول الله ، ما أتى عليك يوم كان أشدّ عليك من يوم أحد ؟

- قال :

- لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذْ عرضت

نفسى على ابن عبد ياليل فلم يُجِبْنى ، فانطلقت وأنا مهموم على

وجهى ، فلما كنت بموضع كذا رفعت رأسى فإذا أنا قد أطلتني سحابة ،

فنتظرت فإذا فيها جبريل فنادانى ، فقال :

- إن الله عزوجل قد سمع قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملكَ

الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

- فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ، ثم قال :

- يا محمد ، إن الله عزوجل قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال ، وقد

بعثنى ريك إليك لتأمرنى بأمرك بأمرك فيما شئت ، إن شئت أطبق

عليهم الأخشيين .

- فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :-

- أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا شريك له "

" أخرجه البخارى و مسلم وابن حبان وابن أبى الدنيا "

يقوم الحدث فى القصة على المفاضلة بين يوم أحد الذى كان شديداً أو أشد الأيام

فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين يوم آخر ذكره لعائشة وكان أشدّ

من يوم أحد ، وهو دعوة ابن عبد ياليل الذين رفضوا الاستجابة ..

اليوم الأول وهو يوم أحد انهزم فيه المسلمون أمام قريش بعد أن أوشكوا على قطف ثمار نصر كاسح ، ولكن مخالفة المقاتلين للأوامر شجعت المشركين على الكرّ على المسلمين وإعمال السيف فيهم وهم مشغولون بجمع الغنائم ، لولا صمود الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومجموعة من الصحابة ، وثباتهم فى وجه الهجوم الذى أوقع بالمسلمين خسائر كبيرة وحول انتصارهم إلى هزيمة .

أما اليوم الآخر فهو اليوم الذى دعا فيه النبى ابن عبد ياليل إلى الدخول فى الإسلام ، ولكنهم لم يستجيبوا وكان يأمل فيهم كثيراً ، ولكنه عاد كاسفاً حزيناً يحمل من الهموم ما جعله يمضى على وجهه فى الطريق على هيئته هذه . وهو معنى قوله : " عرضت نفسى على ابن عبد ياليل فلم يجبنى " ، أى عرضت الإسلام على قوم عبد ياليل ، فلم يؤمنوا به ولم يستجيبوا لى . ويفسر نتيجة ذلك بقوله " فانطلقت على وجهى " ، أى سرت فى الطريق وأنا ملئ بالهموم والأحزان بسبب عدم إسلامهم .

و شخصيات القصة معروفة لقارىء الحديث أو سامعه ، فها هى عائشة زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم ، وابنة صديقه الأول أبى بكر - رضى الله عنه - ثم نرى شخصية النبى - صلى الله عليه وسلم - يرد على كلامها ويصف حالته وابن عبد ياليل لم يستجيبوا له ، وشخصية جبريل عليه السلام التى ظهرت فى السحابة لتشدّ من أزره وتبلغه بحفظ الله له ورعايته الدائمة ، ثم شخصية ملك الجبال ، الذى ينفذ أوامره كى ينفذ انتقامه من المشركين لو أرادوا النبى - صلى الله عليه وسلم .

و نلاحظ أن الحوار عنصر مهم من عناصر القصة ، لأنه يكشف عما يشغل الشخصية القصصية أو يبين وظيفتها ، فهو يكشف عما تراه عائشة رضى الله عنها من أن يوم أحد أشد الأيام على الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنه يجيبها أن

يوماً آخر كان أشد من يوم أحد حيث كان يودّ أن يسلم ابن عبد باليل ولكنهم حدلوه ورفضوا الاستجابة له ثم نجد جبريل عليه السلام وملك الجبال يمتثلان للمهمة المكلف بها كل منهما ويبلغان الرسول - صلى الله عليه وسلم بما كلفا به وهو الانتقام لو أراد .

وبناء القصة يقوم على الكشف عن شدّة وقع يوم صعب على النبي الكريم .  
و كانت عائشة تظن أنه يوم أحد الذي انهزم فيه المسلمون ، و تحمّل النبي مع الصحابة شدّته و تأثيره ، و لكننا نجد أن يوم ابن عبد باليل كان أشدّ ، فقد كانت قسوته على النبي صلى الله عليه وسلم محرّكاً لجبريل و ملك الجبال ليقتصاً من هؤلاء القوم " إن شئت أطبق عليهم الأخشبين " والأخشبيان : جبلان فى مكة أولهما أبو قبيس ، و الآخر ما يقابله .

والمعنى إن أردت الانتقام فإنه يمكن إهلاكهم و إفنائهم تحت الجبلين العظيمين اللذين إذا اجتمعا سحقا من تحتها ، و أطبقتهما : جمعتهما فلا ينجو منهم أحد .

وكان قارىء الحديث أو المستمع إليه يتصوّر أن تكون هذه هى النتيجة الطبيعية لقوم عبدالليل ، ولكن ختام القصة يأتى مخالفاً لذلك ، كاشفاً عن خلق كريم للرسول صلى الله عليه وسلم - يختص به وحده و يتميز ، وهو يتمثل فى عدم رغبته فى الانتقام من القوم الذى حدلوه ورتّوه خائباً ، ولكنه يتمنى أن يخرج الله من بين ظهرائهم من يعبد الله لا شريك له .. وهو ما قصده بالإشارة إلى الأصلاب : جمع صلب ، وهو الظهر .

ولا ريب أن هذه الخاتمة تتسق مع منهج الإسلام فى الدعوة و الأمل ، فمهما لقى الدعاة من المتاعب و الصدود ينبغى عليهم أن يكونوا أكثر تسامحاً و مودة و إيماناً بالنمستقبل الذى يفتح الله فيه أبواب الأمل و الرحمة أمام الآخرين .

تعطينا القصة النبوية صورة لما يعانیه الأنبياء والرسل فى صراعهم مع  
الدينويين الذين يبتعدون عن الإيمان والتوحيد ، فقد كان يوم أحد شديد الوقع  
والقسوة على المسلمين وقائدهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنهم كانوا قاب  
قوسين أو أدنى من النصر الكاسح على المشركين ، ولكنهم خالفوا أوامر قائدهم  
وانشغلوا بجمع الغنائم فكرّ عليهم المشركون وهزموهم وأنزلوا بهم خسائر فادحة ،  
ولكن رحمة الله سبحانه تجلّت فى تثبيت النبى - صلى الله عليه وسلم - ومجموعة  
من الصحابة معه ، مما شجع المسلمين الذين انفرط عقدهم على التجمع حولهم ،  
والصمود فى وجه المشركين ، وحفظ بيضة الإسلام التى كادت تنسحق تماماً  
ويقتهى ذكرها .

إن ابتلاء الأنبياء مسألة أساسية ، وابتلاء المؤمنين أيضاً ، لأنه للتمحيص  
والاختبار ومعرفة الإيمان الصادق من غيره .

قال تعالى : "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ  
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَحْبَارَكُمُ" (محمد ٢١)

و قال تعالى : "لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً  
وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ" (آل عمران : ١٨٦)

و يشير الحديث إلى أن ابتلاء الأنبياء والرسل ، والمؤمنين أيضاً ، تصحبه  
رحمة الله سبحانه ، ودعمه الإلهى حين تشتد المحن وتصل إلى حد الذروة ، فقد  
رأينا جبريل وملك الجبال يقدمان دعمهما للنبى - صلى الله عليه وسلم - ويثبتان  
قلبه تعويضاً عما لحق به من حزن وانكسار لدى قوم عبد ياليل .

ولا ريب أن القصة النبوية تكشف لنا عن منهج مهم ليدى الأنبياء والرسل  
والدعاة وهو ضرورة الصبر أمام الشدائد والمحن ، فلولا صبر النبى صلى الله عليه

وسلم - يوم أحد مع بعض أصحابه لا نسحق المسلمون ولما عمدت لهم قائمة ، ولولا صبره - صلى الله عليه وسلم - يوم عدياليل ما وجد هذا الدعم الإلهي غير المحدود .

بالطبع فإن البشر يحرنون ويتأثرون نتيجة للإخفاقات أو عدم تحقيق الآمال

ولكن الإيمان بالله ووصل حبله دائماً ، يجنب الدعاة وغيرهم مزالق الباس والإحباط .

"...إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ" (يوسف : ٨٧)

ونرى فى هذا الحديث الشريف صورة لما ينبغى أن يكون عليه الداعية

المسلم اقتداء بمنهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو الرؤوف الرحيم كما وصفه

ربه جل وعلا "....بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" (التوبة : ١١٨)

وهولين الجانب الودود "فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ

فَطَّاءً غَلِيظًا لَّقَلْبُكَ لَإِنْفُسُوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" (ال عمران : ١٥٩)

وهو القائل : "أنا رحمة مهداة ؛ وهو الذى كان يردد :

" اللهم اهد قوما فإنهم لا يعلمون "

وكان موقفه من أهله الذين آذوه وأخرجوه من مكة وحاربوه فى مهجره ،

حين انتصر عليهم وأصبحت رقابهم فى قبضته :

" ما تظنون أنى فاعل بكم . قالوا خيراً . أخ كريم و ابن أخ كريم قال

أذهبوا فأنتم الطلقاء "

هذا المنهج هو الذى أشارت إليه القصة التى بين أيدينا ، فقد كان

الهلاك قريباً منهم بإطباق الأخشبين عليهم ، ولكن الرؤوف الرحيم - صلى الله عليه

وسلم - يقول : " أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا شريك له

"حقاً ، إن الغاية الكبرى للإسلام هى الإيمان بالله الواحد الأحد الذى لا شريك له

..وليست الانتقام أو العقاب . فقد أرسل الله رسوله رحمة للعالمين .

## سبق عكاشة

عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عُرضت على الأمم ، فرأيتُ النبيّ و معه الرهيط ، و النبيّ و معه الرَّجُلُ والرَّجلان والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتى ، فقبيل لى :

- هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقبيل لى :

- هذه أمتك و معهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب .

- قال بعضهم : الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- قال بعضهم : فعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله .

- فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

- ما الذى تخوضون فيه ؟

- فأخبروه ، فقال :

- هم الذين لا يَرْقُونَ ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

- فقام عكاشة بن محسن ، فقال :

- ادع الله أن يجعلنى منهم .

- فقال : أنت منهم .

- ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم .

- فقال :سبقك بها عكاشة "

"أخرجه البخارى و مسلم و أحمد و الترمذى و الدارمى و ابن حبان و البغوى "

.....

أول هذه العناصر يتبَدَّى فى السرد أو الحكى أو الحدث الذى يرويه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من خلال الرؤيا ، ورؤيا الأنبياء حق ، أو من خلال رحلة الإسراء والمعراج وهو استعراض أمم السابقين مع الأنبياء ، كل نبى مع أمته . فهناك أمة صغيرة أقل من عشرة أفراد مع نبيها ، وهناك رجل أو رجلان مع نبي ، وهو ما عبر عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرهيط ، والرَّهِيْطُ : تصغير رَهْط ، وهم الجماعة أقل من العشرة .

وهناك نبي ليس معه أحد . وهناك سواد عظيم أى جمع عظيم من عامة الناس مع نبي الله موسى عليه السلام ، وقد ظنهم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته ، فإذا به يرى جمعا عظيما فى الأفق ، ويقال له : إن سبعين ألفاً من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .

و حين يستمع الناس إلى ما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يحاولون تفسيره بعد أن نهض ودخل منزله ، وهو معنى قوله : " خاض الناس " ؛ أى تكلم الناس فيما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتحدثوا عنهم ، وعلقوا عليه .

فمنهم من يرى أن السبعين ألفاً من الصحابة ومنهم من يرى أنهم الذين ولدوا فى الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخرج عليهم ، ويعلم بما دار بينهم ، ويخبرهم أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم الذين لا يدعون بدعاء الوثنية ، وهو معنى قوله : " لا يرقون " ، أى

لا يدعون دعاءً وثنياً للتعود من الشرّ. ولا يطلبون دفع الشرّ بمثل هذا الدعاء ، كما ورد في قوله : " لا يسترقون " ؛ أى لا يطلبون الرقية بعناها الوثنى المخالف للإسلام. وفي قوله : " لا يتطيرون " ؛ أى لا يتشاءمون . ولكنهم الذين يتوكلون على الله مع الأخذ بالأسباب الممكنة .

وهنا يطلب رجل أن يدعوله الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيعتذر بلطف ورقة قائلاً : سبقك بها عكاشة ، أى إن عكاشة بن محصن قد سبقه فى طلب الدعوة فاستجيب له .

و تعتمد القصة على عنصر الحوار القائم على السؤال وإجابته ، أو الحوار المترادف تفسيراً لأمر غير واضح ، أو الحوار الذى يجرى طلباً لعروف أو تحقيقاً لرغبة وقد رأينا الرسول - صلى الله عليه وسلم يسأل الملائكة حول أسماء بعض الأمم العظيمة العدد حين ظن أنها أمته فأخبر أنها أمة موسى عليه السلام ، أما أمته فقد طلب منه النظر إلى الأفق ليراها جمعاً كبيراً ، يثاب منه سبعون ألفاً بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

و حين يخرج إليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحول الحوار إلى توضيح وبيان لهؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فهم المتوكلون على الله بعد الأخذ بالأسباب الممكنة ، دون أن يدعوا دعاء الجاهلية أو يطلبوا هذا الدعاء الوثنى .

ثم يتطور الحوار لتحقيق الرغبة بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب من بعض الصحابة حيث يسبق عكاشة بن محصن بطلب الدعاء لتتحقق له هذه الرغبة .

و بناء القصة يعتمد على التدرج منذ عرض الأمم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - مروراً بحديث الصحابة حول طبيعة الداخلين الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم يأتي التمهيد لنهاية القصة ببيان طبيعة هؤلاء بأنهم الذين لا يطلبون الرقية المنهى عنها ولا يتشاءمون ، ولكنهم يتوكلون على ربهم حق التوكل ، ثم نصل إلى ختام القصة ببيان سبق عكاشة في الفوز بالدعوة النبوية لدخول الجنة بغير حساب .

أول ما تعطينا القصة من معطيات ؛ الإشارة الواضحة إلى مكانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - المتميزة بين الرسل والأنبياء ، و مكانة الأمة الإسلامية بين أمم الأرض . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء وصاحب الرسالة الشاملة الكاملة ، و أمة الإسلام هي الأمة التي يدخل الجنة منها - وهي الجمع العظيم . سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب لأنهم لا يطلبون الرقية المنهى عنها ، ولا يتشاءمون بل يتوكلون على الله حق التوكل بالأخذ بالأسباب .

وقد وعد المسلمون المتقون هؤلاء بالجنة في كثير من الآيات الكريمة التي وردت بالقرآن الكريم .

قال تعالى : " وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ..... " (ق ٢١)

و قال تعالى : " وَيُؤَدِّجُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ " (محمد : ٦)

و قال تعالى : " أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ

مَقِيلًا " (الفرقان : ٢٤)

ولا ريب أن التوكل على الله ، يعنى التسليم إليه في كل حال ، مع الأخذ بالأسباب الممكنة ، لأن عدم الأخذ بها يعنى التواكل ، وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن ضيع ناقته بعد أن دخل إلى الصلاة بحجة التوكل على الله :

## " اعقلها و توكل "

فَعَقْلُ النّاقَةِ أَى رِبَطُهَا أَوْ تَقْيِيدُهَا حَتَّى لَا تَضِلَّ هُوَ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ  
الممكنة ثم التوكّل على الله الذى يتكفل بحفظ النّاقَة ..

وقد وردت الآيات الكريمة فى القرآن الكريم بهذا المعنى الذى يجعل المسلم  
يتوكّل على ربّه فى كل الأحوال :

"إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ؕ... " (هود : ٥٦)

"...وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... " (الطلاق : ٣)

"...إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ " (يوسف : ٦٧)

"وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدِّ هَدَيْتَنَا سُبُلَنَا ؕ... " (إبراهيم : ١٢)

ومن هذا نفهم أن التوكّل على الله هو أساس الحياة فى المجتمع  
الإسلامى ؛ أما التواكل فهو القعود عن العمل ، وعدم الأخذ بالأسباب ، والسلبية  
المرضية التى تكتفى بالكلام دون الفعل ، والقرآن الكريم يأمر العمل "وَقُلِ اعْمَلُوا  
فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ... " (التوبة : ١٠٥)

ومن معطيات القصة التنبية إلى خطورة الدعاء بمنطق الوثنية ، ومثله  
التشاؤم فغير الله لا يملك للإنسان ضرراً ولا نفعاً ، وهو شرك وعودة إلى الجاهلية  
الأولى .

أما التشاؤم فهو محرّم على المسلمين ، لأن المصائر والأعمار والأعمال  
مقدورة بقدر الله ، ولا يملك الإنسان أن يغيّر من قدر الله ، وقد نعى الحق سبحانه  
على الأقوام السابقة تطيّرهم وتشاؤمهم ...

"قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِئْسَ مَعَكَ... " (النمل : ٤٧)

وها هم قوم موسى :

"...وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ؕ... " (الأعراف : ١٣١)

وهاهم آخرون :  
"قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا  
عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يسن : ١٨)

ومن المعطيات التي تقدمها القصة ضرورة المبادرة إلى الخيرات  
واكتساب الحسنات ، فعكاشة بن محصن ، حينما رأى مصير الطيبين الذين دخلوا  
الجنة بلا حساب ولا عذاب لأنهم لم يطلبوا الرقية بمفهوم الجاهلية ولم يعرفوا  
التشاؤم والتطير ، بل توكّلوا على الله حق التوكّل وأخذوا بالأسباب الممكنة ؛  
كانت مبادرته وسبقه إلى طلب الدعاء من النبي - صلى الله عليه وسلم ليكون مثل  
هؤلاء الطيبين .. وعندما أدرك ذلك رجل آخر كان في صحبة الرسول صلى الله عليه  
وسلم - كرر طلب عكاشة ، ولكن الأمر كان قد فاته وصارت مقولة - صلى الله  
عليه وسلم - مثلاً يضرب فيمن يسبق إلى الخير ويطلبه فيفوز بثوابه .

\*\*\*\*

## الصدقة في غير موضعها

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

" قال رجل لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تُصَدِّقُ اللبلة على سارق !

فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته ، فوضعها في يدى زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تُصَدِّقُ اللبلة على زانية !

فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج فوضعها في يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون : تُصَدِّقُ اللبلة على غنى !

فأتى . فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة و أما الزانية فلعلها تستعف عن زناها ، و أما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله ."

"أخرجه : البخارى و مسلم و أحمد و النسائى و البيهقى "

.....

يحمل الحديث الشريف عناصر القصة الناجحة المؤثرة من فكرة و بناء متسلسل وتشويق و غاية .

فالفكرة تتحدث عن صدقة يعتزم رجل أن يتصدق بها ، ولكنها تذهب إلى من لا يستحقها ، و يتحدث الناس بهذا الأمر الغريب ..

و يقوم البناء على تتابع الحدث ، حيث يتصدق الرجل على لص على أول الأمر و عندما يعلم أنه تصدق على غير مستحق يحمد الله ، ثم يكرر التصدق ، فيتصدق على زانية و عندما يعلم أنها وقعت في يد لا تستحق ، يحمد الله .

ويتصدق مرة ثالثة ، فتقع فى يد أحد الأغنياء الذين لا يستحقونها . وهو ما نفهمه من قوله : " وضعها فى يد سارق .. زانية .. غني " . أى سلم الصدقة إلى لص ، وهو لا يستحق الصدقة . ومثله الزانية والغنى فهم جميعاً لا يستحقون الصدقة .

ويتشوق الناس إلى معرفة خاتمة القصة ، فبعرّفونها من خلال الوجه الآخر لتصدق الرجل على من لا يستحق ، ويتمثل هذا الوجه فى أن الصدقة قد تكون وسيلة دافعة للصّ كى يتوب عن السرقة ، والزانية كى تتعفف عن الزنا ، والغنى كى يبذل ماله فى سبيل الله . وهو ما يفهم من قوله : " يستعف " أى يتعفف ويبتعد عن السرقة أو الزنا أو البخل . أو بالنسبة للغنى " فلعله أن يعتبر فينضق " يقصد أن يأخذ العبرة ممن وضع فى يده الصدقة ويتقذى به ويقوم مثله بالتصدق والإنفاق على المحتاجين والمستحقين للصدقات .

- و نجد فى القصة حواراً يدور بين الناس وبين بطل القصة أو شخصيتها الرئيسية وهو الرجل المتصدق ، حيث يتعجبون عند إخراج الصدقة لمن لا يستحق من وجهة نظرهم ولكنه يردّ عليهم - وكأنه يحدث نفسه - " اللهم لك الحمد لأتصدقن بصدقة " ويتكرر هذا الحوار مع الصدقات الثلاث . ثم يأتى أخيراً ، وكأنه يتساءل عن مصير صدقاته وهل وقعت فى يد من يستحق أم لا ؟ وتكون الإجابة بأنها مقبولة - إن شاء الله - وقد تكون سبباً فى توبة العاصى وحافزاً على الخير للغافل .

من خلال القصة نفهم أن الصدقة سلوك إسلامى نبيل له دوره الكبير فى بناء المجتمع الإسلامى ، والحق سبحانه وتعالى يسلك المتصدقين والمتصدقات فى سلك عباده الأخيار الذين وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم :

"إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
 وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ  
 وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ  
 وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ  
 كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (الأحزاب: ٢٥)

والصدقة مطلوبة علناً (مثل إخراج الزكاة) أو سراً مثل بقية الصدقات .

قال تعالى: "إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا  
 وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (البقرة: ٢٧١)

وإخراج الصدقة يعلم الإنسان الذوق ومراعاة شعور الآخرين "يَتَأَيَّهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ...." (البقرة: ٢٦٤)

والصدقات المفروضة تصرف في مصارفها المشروعة فتؤلف بين القلوب ،  
 وتوطد المودة بين الناس ، وتخدم الدين بالدفاع عنه وبناء المجتمع المسلم .

و تعطينا القصة مفهوماً متقدماً للصدقة ومعناها ودلالاتها ، فهي  
 تعنى الخير، وهى وسيلته المتقدمة ، و تحسب لصاحبها وفقاً لنيته وسلوكه ، حتى لو  
 وقعت فى يد من لا يستحقها فللمتصدق الأجر والثواب - إن شاء الله - مادامت  
 نيته هى الخير ، وسلوكه هو التزام بين المسلمين ، ورغبته مسالعة من توجه إليه .

وإذا كانت الصدقة توجه أولاً لأهل الصلاح ، فإن هذا لا يمنع أن توجه لمن  
 يرتجى صلاحهم وخيرهم ، فالإنسان دائماً يحمل بين جبينه عنصراً خيراً مهما بدا  
 شريراً وقاسياً فقد يتعفف اللص ، وتتوب الزانية ، وينفق البخيل ، ويزداد المنفق  
 الغنى إنفاقاً .

\*\*\*\*

## النعيم و الجحيم

عن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم :-

" يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيُصبغُ في النار صبغة

ثم يقال :

- يا ابن آدم ، هل رأيت خيراً قط؟

- هل مرّ بك نعيمٌ قط؟

- فيقول :

- لا ، والله ، ياربّ؟

- ويؤتى بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيُصبغ صبغة في

الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم ، هل رأيت بؤساً قط؟

- فيقول : لا ، والله ، ما مرّى بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط ."

"أخرجه مسلم"

.....  
نلاحظ أن السرد أو الحكى في القصة يأتي بصيغة المبني

للمجهول : " يُؤتى بأنعم أهل الدنيا : ويقصد بهم الذين عاشوا في نعيم

الدنيا كما لم يعش غيرهم واستمتعوا بنعيمها كما لم يستمتع غيرهم . " و يُؤتى

بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا ... " أي أشدّهم فقراً ومعاناة ، ليُقدم لنا الحدث

الذى يدور حول أهل الجنة و أهل النار ، فالذى يقوم بالإتيان مجهول ، ولكننا نعرفه

من السياق وهو الملائكة الذين يوكلون بالجنة و النار ، وأنعم أهل الدنيا وأشدّهم

بؤساً ، مطلق شخصيات منعمة أو بائسة ، عاشت في نعيم الدنيا فلم تشعر

بالجؤس أبدأ ؛ أو عاشت هى الدؤس فلم تدق طعم النعيم قط ، ولكن وضع كل من هؤلاء وأولاء موضع الآخر فى الجنة أو النار ، يجعله لا يشعر بما عاشه فى الدنيا أبدأ . وهو ما يفهم من قوله : " يصبغ فى النار " أى يغمس فيها ليدوق العذاب . ومن قوله : " فيُصبغ صبغة فى الجنة " أى يوضع فى الجنة ليعض الوقت ليدوق حلاوتها و نعيمها .

المنعم ينسى أنه ذاق النعيم بسبب ما داقه فى النار كما نرى فى التساؤل : " هل مرّ بك نعيم قطّ " أى هل ذقت نعيماً من قبل . ، والبائس فى الدنيا ينسى بؤسه بمجرد أن يذوق طعم الجنة كما يقال له : " هل مرّ بك شدة قط ؟ " أى هل رأيت شدة و معاناة و تعباً فى الدنيا من قبل ؟ " .. وهذه القاعدة تحكمها عملية الاتصال بالله و الإخلاص له من عدمه ، فالذى يعيش على صلة بالله و إخلاص له و قيام بحقوقه يدخل الجنة ولو كان بائساً فى الدنيا ، فقيراً معدماً ، و من انقطعت صلته بالله ولم يخلص له دخل النار ولو كان غنيا مرفهاً و منعماً .. المعيار الذى نستخلصه من القصة هنا هو الإيمان بالله .. فمن يملك الإيمان محظوظ ، ولو كان فقيراً ، و من يفقد الإيمان تعيس ولو كان غنياً .

إن ختام القصة يتضح فى سياق المنعم و قصة البائس .  
الأول يقول : ما مرى نعيم قط لأنه شهد العذاب  
و الآخر يقول : ما مرى بؤس قط لأنه شهد النعيم .

## معطيات القصة :

من يتأمل القصة جيداً يدرك عدالة رب الناس المطلقة ، فهو الذى قال :  
"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة: ٧-٨)

لا مكان عنده لحالة الإنسان من حيث الغنى أو الفقر ، أو الأصل  
أو الحساب أو النسب ، أو النعيم أو الفقر ..

الأصل فى العدالة الإلهية هو الإيمان الذى يصدّقه العمل ، فمن عمل صالحاً  
وخيراً وإحساناً له مكانة فى الجنة ولو عاش فى أحط دركات البؤس والشقاء  
والمعاناة ومن عمل عملاً غير صالح ، ولم يلتزم بالعقيدة و أشاع الشرّ فى المجتمع كان  
مصيره إلى العذاب الذى ينسبه كل ما استمتع به فى الدنيا من نعيم ورفاهية .

قال تعالى : "يَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ  
فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة: ٨١) .

و يتحدث القرآن الكريم عن المشركين و الكفار الذين قطعوا  
صلتهم بالله : ".... وَأُولَٰئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ" (ال عمران: ١٠)

و يقدم لنا القرآن الكريم مفارقة دالة حين يذكر أهل الجنة أصحاب النار

بما كان بينهما فى الدنيا من موعدة إلهية تحققت و صدقت :

"وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا  
رَبُّنَا حَقًّا ...." (الأعراف: ٤٤)

و يؤكد القرآن الكريم على مصير أهل الخير والإيمان "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...." (البورج: ١١)

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ" (الطور: ١٧)

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ  
مُقْتَدِرٍ" (القر ٥٤-٥٥)

و تعطينا القصة دلالة واضحة على أن المرّفين في الدنيا لا يعنى أنهم مرفهون في الآخرة ، وأن البائسين في الدنيا لا يعنى أنهم بائسون في الآخرة ، فالنعيم في الآخرة مربوط بعمل صاحبه و مطابقتة لإيمانه ..

وهو ما ينفي وهم بعض الناس أن النعم في الدنيا هو النعم في الآخرة أو أن الشقى في الدنيا هو الشقى في الآخرة .. هذا الوهم ينفية و يدحضه تنعم البائسين في الدنيا بنعيم الآخرة ، و شقاء المنعمين في الدنيا بعذاب الآخرة .. ومناطق النعيم والجحيم في كل الأحوال هو الإيمان والإخلاص .. فمن كان لديه إيمان وإخلاص تنعم في الآخرة ولو كان شقيا في الدنيا ، ومن افتقد الإيمان والإخلاص في الدنيا تعذب في الآخرة ولو تنعم في الدنيا .

\*\*\*\*

## رحمة الله

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال :  
" قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبى . فإذا امرأة من السبى  
تسعى إذ وجدت صبيّاً فى السبى أخذته فالزقته ببطنها ، فأرضعته ، فقال رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم :-

" أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟ "

قلنا : لا ، والله .

فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها "

" أخرجه البخارى ومسلم والبخارى والطبرانى .. "

.....

تبدأ القصة بامرأة تبحث عن ولدها المفقود ضمن الأسرى : أي " السبى  
" أي الذين أسرهم المسلمون ، وحين تعثر عليه فإنها تحتضنه وترضعه رحمة به  
ولهفة عليه .

ومن خلال منظر هذه المرأة المتلهفة على طفلها لإرضاعه وإشباعه بعد أن  
افتقدته لبعض الوقت ضمن الأسرى ، وهو ما عبر عنه الحديث الشريف  
بقوله : " تسعى " أي تسير مسرعة بحثاً عن وليدها الذى تفتقده ، نرى الرسول -  
صلى الله عليه وسلم - يحاور أصحابه عن طريق السؤال والجواب ، فيطرح عليهم  
سؤالاً إجابته بالنفى يتضمن أمراً مستحيلاً أو شبه مستحيل : هل يمكن لهذه المرأة  
أن تلقى بولدها فى النار؟ أو كما ورد فى قوله : " أترون؟ " أي أتظنون أنها  
تطرح ولدها فى النار؟

والغاية من السؤال كما نرى بيان مدى حب الأم لابنها ولهفتها عليه ورحمتها..ومن ثم تبدأ المقارنة بين رحمة هذه الأم بابنها ورحمة الله جل وعلا بعباده ، وتكون رحمة الله بعباده فوق رحمة الأم بابنها على أهمية هذه الرحمة وارتباطها بغريزة الأمومة و عاطفتها.. إن رحمة الله بلا حدود .

تعملينا القصة صورة من صور رحمة الأم بابنها ، فالأم فى الإنسان والحيوان ترتبط بابنها ارتباطاً طبيعياً وفطرياً ، فلا يوجد من الكائنات البشرية والحيوانية من هو أرحم بالابن وأكثر عطفاً عليه من الأم ، وهى الوحيدة التى تتحمل متاعب الولادة والرعاية بعد الولادة..وما أدراك ماهذه الرعاية ؟ إنها عناء بالليل والنهار.. سهر دائم ويقظة مستمرة للعناية بالوليد الذى لا يملك من أمره شيئاً ولا يستطيع النهوض بنفسه ..

وقد جعل الله سبحانه الرحمة فطرة طبيعية فى الأم تجاه ولدها ، ومهما تكاثرت عليها المفريات والمهبات فلن يمنعها مانع عن الاهتمام بولدها والعناية به والعطف عليه وتقديمه على نفسها .. وهذه الرحمة الفطرية المغروسة فى وجدان الأم المختلطة بكراتها الدموية وغريزتها الطبيعية لا توجد عند أحد آخر على ظهر الأرض إلا فى أم الإنسان و أم الحيوان ..

هذه الرحمة فى سخائها وكرمها وإغداقها توجد عند رب الناس رحمة أكثر سخاء منها وكرماً وإغداقاً ، إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يخبرنا أن الله أرحم من الأم بأكثر مما يتخيل الناس ، وهو أرحم بعباده فوق ما يتصورون .. يكفى أن الأسماء الحسنى لله جل وعلا تضم الرحمن والرحيم .. وقد جاء كل منهما على صيغة المبالغة التى تعنى أن الرحمن والرحيم كثير الرحمة أو عظيم الرحمة أو لا يوجد من هو أرحم منه فى العالم ..



و قال تعالى :

"...فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (القرة ٦٤)

ولا شك أن رحمة الله بعباده والإلحاح عليها فى شتى المناسبات من خلال القرآن الكريم ؛ تعلمنا نحن المسلمين أن نكون رحماء فى تعاملنا وعلاقاتنا ، ومع بعضنا وأهلنا وندونا وزملائنا ومواطنينا .. إن الرحمة حين تشيع بين الناس تشفى كثيراً من الأمراض الإجتماعية المزمته ، وتساعد على حل كثير من العضلات الصعبة ، وتوطد أواصر العلاقات الإنسانية بين الأفراد وتشدها بروابط من المحبة والإخاء ..

وقد كتب الأديب الراحل " مصطفى لطفى المنفلوطى " فصلاً رائعاً عن الرحمة بدأه بقوله : " لو تراحم الناس ما كان بينهم مغبون ولا عار ولا جائع ، ولأقفرت الجفون من الدمامع .. " وهذا الكلام صحيح مائة بالمائة لأنه ينبثق من الإيمان برحمة الله لعباده التى يجب أن تشيع بينهم فى كل مكان وزمان .

\*\*\*\*

## الحب فى الله

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم قال : " إن رجلاً زار أخاه فى قرية أخرى . فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال :

- أين تريد ؟
- قال : أريد أخاً فى هذه القرية .
- قال : هل لك من نعمة تربها عليه ؟
- قال : لا .. غير أنى أحببته فى الله تعالى .
- قال : فإنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه "
- " أخرجہ : مسلم وأحمد "

.....

تعتمد هذه القصة على السرد أو الحكى بالإضافة إلى الحوار والشخصية .

ونلاحظ أن السرد هنا يعتمد فى مجمله على الفعل الماضى : زار - أرصد - أتى - أحب ، وذلك لتوكيد الغاية من القصة على أساس حدوث الموضوع القصصى ، وهو ذهاب رجل إلى رجل آخر يحبه فى الله تعالى .

و الرجل هنا بلا ملامح خارجية أو داخلية اللهم إلا رغبته الخالصة والصادقة فى الذهاب إلى صاحبه من أجل الثواب الإلهى . وبالطبع ، فإن هذا الرجل نموذج شائع فى المجتمع الإسلامى ، حيث يحب الرجل أخاه فى الله دون غرض أو هوى ، وهو ما عبر عنه الحديث الشريف بقوله : " أخاً له " يقصد الأخوة فى الدين وليس الأخوة فى النسب .

وهو ما تكون نتيجته التى نراها فى ختام القصة على لسان الملك الذى أرصد الله تعالى فى طريقه ؛ أى جعل له ملكاً على مدرجته ، والدرجة هى الطريق وسميت

كذلك لأن الناس يدرجون عليها ويمشون : بأن الله يحب من يحب فيه ، أو بلفظه " بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه " ..

وهذا ثواب يطمح إليه كل مسلم صادق الإيمان .

كما نلاحظ أن الحوار في هذه القصة يخدم تسلسل الموضوع ، ويكشف عن طبيعة الشخصية الرئيسية فيه ، " فلما أتى عليه " أى وصل إليه . راح الملك يسأل الرجل عن وجهته ، وعندما يجيب الرجل بأنه يريد أخاه المسلم فى هذه القرية يسأله : هل لك من نعمة تقوم بها وتسعى فى صلاحها .. وعبر عن النعمة بقوله: " ترتها " أى تقوم بها وتسعى فى صلاحها .

أى إن الملك يسأله عن الغاية من رحلته ، ويفترض مسبقاً أنها من أجل مصلحة أو أجل منفعة ، كما يفعل أغلب الناس فى كل زمان ومكان ، ولكن الرجل المسلم الذى يفهم العلاقة بين آسلم وأخيه على وجهها الصحيح يخبر الملك أنه لا يبغى مصلحة أو منفعة من أخيه المسلم الذى يزعم زيارته .. ولذا كان قوله : "أحبته فى الله " ! أى أحبته من أجل ثواب الله تعالى . إنه يجبه فى الله تعالى وكفى ، وبالطبع تكون المكافأة الإلهية أن الله يحبّه كما أحبه فيه .

أول ما نلاحظه فى القصة هو مفهوم الحب . فالحب هنا مقرون بثواب الله وطاعته ، إنه حبّ سام يفوق الحب الذى يصنعه المصلحة أو الغريزة . الحب فى المفهوم الإسلامى عملاء بلا حدود ولا قيود . فيه رغبة الخدمة الخالصة الصادقة للمجتمع الإسلامى على مستوى الفرد والجماعة . الحب هنا لا ينتظر مقابلاً من المحبوب ، وفى تطبيقه العملى يبتعد هذا الحب عن الإعلان عن نفسه ، أو طلب الشهرة أو الوجاهة .

إنه حبّ الزاهدين الذين يحبّون فى سمت و يعطون فى خفاء ، لأنهم ينتظرون ثوابهم من المحبوب الأعظم . وهو ثواب يفوق كل ما لدى البشر من ثواب . لقد اختص الله سبحانه بعض خلقه المؤمنين بحبه .

قال تعالى : "..... إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (المائدة: ١٣)

وقال تعالى : "..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (المائدة : ٤٢)

وقال تعالى : "..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (التوبة : ٧)

وقال تعالى : "..... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ" (التوبة : ١٠٨)

وقال تعالى : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ  
صَفَا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ" (الصف : ٤٠)

و الحب في الله من أنبل أنواع الحب لأنه ، لا يرتبط بالمصالح الشخصية  
أو الأغراض الدنيوية ، لذا فجزاء صاحبه هو الفوز بمحبة الله ، وأنعم بها من محبة .  
ومن القصة ندرك دور الملائكة في التبشير بهذه المحبة . إنها تبشر المؤمنين  
الذين يحبون في الله بما ينتظرهم من ثواب في الآخرة .

وقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بأنهم أشد حبا لله ، والفارق بينهم و  
بين المنافقين يتضح في قوله تعالى : "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ  
اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعَذَابِ" (البقرة : ١٦٥)

فالمنافقون يحبون من جعلوهم أندادا لله ، أما المؤمنون فهم أشد حبا لله الذي  
يعبدونه دون غيره ، ولا يدينون بالولاء لأحد سواه ، لذا استحقوا حب الله ورعايته .

"..... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ  
تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ  
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (المائدة : ٥٤)

محبة الله التي نفهمها من القصة ميدان كبير يتنافس فيه المتنافسون  
لأنه عطاء بلا حدود ، ويدل بلا مقابل ، وكما فشئت هذه المحبة قوى المسلمون  
وانتصروا في دنياهم وأخراهم .

## قوموا إلى الجنة - ١

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال :  
بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُسَيْسَةَ غَيْثاً يَنْظُرُ مَا صَنَعْتَهُ عَيْرِ  
أَبَى سَفْيَانَ ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ .

قال : لا أدري ما استثنى بعض نسائه فحدثه الحديث .  
" إن لنا طليبةً ، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا " فجعل رجال  
يستأذنونهم في ظهرانهم في علو المدينة .  
قال : لا ، إلا من كان ظهره حاضراً .

فانطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتى سبقوا  
المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :  
" لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا أذنه " .  
فدنا المشركون ، فقال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم :  
" قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ...."  
" حديث صحيح أخرجه أحمد وأخرون "

.....  
.....  
.....  
هذه القصة النبوية تدور في إطار قى غزوة بدر ، وتقدم جانباً من  
جوانبها وما أكثر الجوانب التى تحملها هذه الغزوة المباركة ، التى أحدثت تحولاً  
خطيراً فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، حيث انتقأت بالدعوة من حال المطاردة  
والهجرة ، والحصار والتأمر إلى حال المبادرة والدفاع ، وإثبات الذات والوجود ..

وفى السنة الثانية للهجرة ، و بدءاً من هذه الغزوة المنتصرة الطائفة ، صار للإسلام والمسلمين كيان يعترف به الأعداء والخصوم ، ويقرّبه الحلفاء والجيران ..

وأخذ هذا الكيان ينمو ويقوى ويتحول إلى رقم فى المعادلة السياسية والعسكرية على أرض الجزيرة العربية ..

لقد كان المسلمون قلة بالنسبة للمشركين ، جاء نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، مهاجرين من مكة إلى المدينة ، يطاردهم المشركون ، ويقتفون أثرهم للقضاء عليهم ، ولكن الله أيدهم بأنصاره ، فاحتضنهم فى يثرب ، وأقاموا معاً المجتمع الإسلامى الأول ، حيث صار للإسلام مسجد ، وصار المسلمون يقيمون الصلاة بلا خوف ولا فزع ، ويمارسون شعائرهم فى النور والعلن ، بعد أن كانوا عرضة للمطاربة والملاحقة والأذى ..

وفى هذه القصة النبوية ، نرى بداية المواجهة بين المسلمين والمشركين ، حيث علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن قافلة لقريش يقودها أبوسفيان بن حرب زعيم المعسكر المعادى للإسلام أتت ، قادمة من الشام إلى مكة تحمل البضائع والطعام ..

و أذن الله للمسلمين أن يدافعوا عن دينهم ويؤموا المشركين ، حتى يتوقفوا عن إيذاء المسلمين وملاحقتهم ..

وكانت قافلة أبى سفيان أو العير ، أى الإبل التى تحمل البضائع والطعام هى الهدف الأول الذى يقصده المسلمون لإجبار المشركين على الكف عن إيذاء المسلمين .

و القافلة هدف مهم للغاية لأنها تحمل مؤونة قريش ولوازمها من  
البيضائع والأمتعة ، حتى تأتي قافلة أخرى بعد شهر أو عام ، وكان لا بد أن  
يترصدها المسلمون ..

ومن ثم ، بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - بُسَيْسًا ، واسمه الأصلي  
بُسَيْس بن عمرو ، و يقال ابن بشر . وهو أنصاري من الخزرج ، ليتجسس على قافلة  
أبى سفيان ويكون عيناً عليها ، ليرى كيف تسير ، وإلى أين تتجه ، وعدد  
أفرادها... الخ .

و ذلك حتى يضع الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الخطة الملائمة  
التي تحقق له ما يريد من مهاجمة القافلة ، و ضرب قريش في مقتل .

و قد استعان الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسرية والكتمان في  
تخطيطه كما يقول أنس بن مالك رضى الله عنه - وهي أولية العمل العسكرى حتى  
يومنا هذا . فالعمل على المكشوف في الحروب قد يهين للعدو فرصة الاستعداد  
لتفادى الهجمات المباغتة ، وتفويت الفرصة على المهاجمين في تحقيق نجاح  
أو انتصار . ولذا كان حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - حول الاستعداد و  
الخروج ، فقد استقبل بُسَيْسًا ومعه أنس وحمدا ، حيث سمعا حديثه ، وربما سمعه  
بعض نسائه ..

ثم يعلن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه عن الخروج  
إلى ميدان القتال . و يقول : " إن لنا طلبيةً ، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا  
" .. ولنا طلبية ، أى طلبا وهدفاً وغاية ، ولم يقل الرسول الكريم - صلى الله عليه  
وسلم - ما هو المقصود بالطلبية كى لا يشيع الخار فيعرفه العدو و يتجنب المواجهة .  
لقد أعلن أن لنا غاية معينة ، تقتضى ممن له ظهر ، أى راحلة ، سواء كانت  
من الإبل أو الخيل ، فليركب معنا ، أى فليسر معنا ، و يمضى إلى حيث نقصد .

وكان هناك من لا يملك ظهراً حاضراً فى اللحظة ذاتها ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كى يذهب إلى ضاحية المدينة ، وهنا يقصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمره ، على من كان طهره حاضراً ، أى مركوبه موجوداً ، لأن الأمر عاجل ويقتضى الخروج والسير سريعاً إلى الهدف المطلوب .

وانطلق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، حتى سبقوا المشركين إلى بدر وانتظروهم هناك ، وحضر المشركون أو وصلوا إلى بدر . وهنا خاطب النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه :

" قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض "

ومعنى قوموا إلى جنة ، أى استعدوا للحرب والقتال ضد العدو ، وخوضوا المعركة بروح الاستبسال الذى يؤدي إلى الشهادة ، ومصير الشهداء هو الجنة ، كما وعد رب العزة .

'وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ '

(آل عمران: ١٢٣-١٢٤)

وأعظم الإنفاق - بلا ريب - هو إنفاق النفس فى سبيل الله ، ودفاعاً عن دين الله ..

\*\*\*\*

## قوموا إلى الجنة - ٢

رأينا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى حديث أنس يدعو أصحابه إلى القيام بواجبهم فى مقاتلة المشركين عند بدر، و عندئذ قال عمير بن الحُمَام الأنصارى :

" يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟

قال : " نعم " .

فقال : يخِ يخِ .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - " ما يحملك على قولك

بخِ يخِ ؟ " .

قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها .

قال : " فإنك من أهلها " .

فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى

أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة .

قالت : فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم ، حتى قتل رضى الله عنه .

استعان النبى - صلى الله عليه وسلم - بالسرية والكتمان فى التخطيط

لواجهة المشركين عند بدر و أرسل بُسِيساً يستطلع الموقف ، و يتجسس على الأعداء

وهو أى التجسس أمر مشروع حين يكون على الأعداء ، و كشف أسرارهم و مواقفهم

التي يمكن أن تضر بالمسلمين و تؤثر عليهم فى ميدان القتال ، أو على قوتهم بصفة

عامة .

ثم إنه - صلى الله عليه وسلم - طلب ممن له مركوب - أى راحلة - أن

يخرج فى الحال إلى حيث يقصد ، دون أن يصرح بقصدته حتى لا يعرف المشركون

مراده فيتجنبوا مواحيته .. وأوصى المسلمين حين سبق المشركين ، ووصل إلى بدر قبلهم : " قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض .."

إن القيام إلى هذه الجنة إغراء ، يجعل كل مسلم يتشوق إليها ، ويسعى بكل ما يملك ليصل إلى بابها ، والتعبير كناية عن الشهادة في سبيل الله ، التي يكون ثوابها جنة عرضها السموات والأرض كناية عن اتساعها وعظمتها ، مما يعنى أن الدفاع عن العقيدة والأوطان له قيمة غالبة في التشريع الإسلامى ، فقد فضل الله المجاهدين على القاعدين وجعل الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد حرك النداء النبوى الكريم للمسلمين بالقيام إلى الجنة الواسعة العظيمة عواطف أصحابه ، وجعل القصة تتصاعد فى حركتها نحو الذروة ، حيث جرى حوار مهم ومؤثر ، بين عمير بن الحمام ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - ودلالته تصب فى كيفية تطبيق النداء النبوى الكريم .

" قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض "

يبدأ الحوار بسؤال عمير : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض؟ وكان عميراً لم يصدق أو يستهول عظمة الصورة وضخامتها للجنة الموعودة. ومع ذلك ، فإن إجابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تأتي هادئة مؤكدة و قاطعة : " نعم "

و هنا يقول عمير : بخ بخ . أى ما أحسن هذا الأمر وما أعظمه .  
ويسأله الرسول - صلى الله عليه وسلم - عما يحمله على قول بخ بخ ، وهو يعلم أن المقابل هو تقديم الحياة فى ميدان القتال فداءً للعقيدة والدعوة والوطن .

فيجيب عمير : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها . أى ما قلت هذه الكلمة الكررة بخ بخ ؛ إلا رجاء أن أكون من أهل الجنة التى عرضها السموات والأرض .

وهنا تكون البشارة النبوية :

" فإنك من أهلها "

أى إن عميراً من أهل الجنة الواسعة العريضة ؛ بفضل الله .

وتتبدى قوة الإيمان لدى عمير ، حين يخرج تمرات من كيس النشاب أو السهام الذى يسمى قرن النشاب ، وراح عمير يأكل هذه التمرات ويقول : لئن أنا حييت حتى أنتهى من هذه التمرات فمعنى ذلك أن هذه الحياة ستكون طويلة ، وهو كناية عن شدة شوقه إلى الجنة الواسعة ورغبته أن يذهب إليها سريعاً قبل أن يتم أكل تمراته . وقد تحققت هذه الرغبة بالفعل حيث رمى عمير بما كان معه من التمرات ، والاندفاع إلى ميدان القتال ، يقاتل المشركين بكل ما يملك من قوة حتى ينال الشهادة ، وقد نالها بالفعل ، وتحققت بشارة النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - بدخول الجنة الواسعة العظيمة التى عرضها السموات والأرض .

إن غزوة بدر فى جوانبها المختلفة تقدم درساً عميقاً فى مجال الإيمان والعقيدة والتخطيط العسكرى ، و مواجهة العدو ، وتحقيق النصر والشهادة .

وهنا جانب من جوانبها ترويه القصة النبوية ، حيث تصوّر السرية فى جمع المعلومات ، ووضع الخطط وبناء الروح المعنوية التى تواجه العدو بقلب حديدى لا يهاب الموت .

\*\*\*\*